

جواهر النفوس

في الاخلاق والتربية

لفيلسوف الشرق

الشيخ طنطاوي جوهرى

(يشتمل برامج جميع المدارس المصرية)

وهو الذي درسه لطلبة مدرسة المعلمين الناصرية

(دار العلوم) في سنة ١٩١٠-١٩١١

مقدمة لناش الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم

ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من
الحس والحركة والغذاء والسكن وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر
الذي يهتدي به الى طرق ابواب السعادة وما يخص به من الاستعداد
للتدرج في معارج الرقي . فاذا شاء الانسان ظهور فضله في الخلقة
ومميزاته عن الحيوان فليأخذ في تهذيب نفسه وتدريبها على احسن السجايا
ولما كانت الاخلاق هي الخطوة الاولى في ميدان الترقى اهتم
بها الانبياء وتبعهم الحكماء فقال صلى الله عليه وسلم (بعثت لأتم
مكارم الاخلاق) وقال الغزالي (كما ان البدن في الابتداء لا يخلق
كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس
تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق) .

ولقد نحنا جميع المتقدمين نحو النزالي في الحث على التربية وحسن الخلق فقال ابن المقفع (ما نحن الى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا الى الادب الذي هو لقاح عقولنا) وهكذا قال الحسن مشيراً الى من يطلبون العلم والحكمة قبل ان تربى نفوسهم وتهذب فقال (لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويمجري في العمل مجرى السفهاء)

وحقيقة ان الاخلاق زهرة الانسان فكما كانت مزهرة جليلة مال الناس اليها واحبوها وكانت مقبولة لديهم ولا ترقى امة الا اذا كان هناك اتحاد في تهذيب الاخلاق

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت اخلاقهم ذهبوا
ان الاخلاق مفتاح العلوم وسلم الارتقاء وبابها التربية او بعبارة اخرى تدريب النفس على الترفع عن الدنايا والاستمسك بالفضائل وان ذلك ممكن لكل انسان عنده مسكة من الحزم

قال الفارابي ان ارسطو قال في كتاب (نيقوماخيا) ان الاخلاق كلها عادات تتغير وان ليس شي منها بالطبع وان الانسان يمكنه ان ينتقل من كل واحدة منها الى غيرها بالاعتياد والتدريب

ولمعرفة طرق التربية والتدريب والتدريب ينبغي الرجوع الى ما كتبه العلماء والحكماء في الاخلاق والتربية ومطالعة آرائهم وافكارهم ولا سبيل الى تأليف المؤلفين وفلسفة الفلاسفة ونتائج بحث الباحثين ومربي العقول الا مطالعة كتبهم ومجلاتهم وجرائدهم . وقال ابن خلدون (ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال والكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائماً فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجردة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكس في الامور لما تعودوه من ذلك الانتقال)

ولا سبيل الى الانتقال من الادلة الى المدلولات الا اذا عرف القارئ الوجوه التي وضعت له والى اي غاية جرى مؤلفه في كتابه . والا فمن استكثر من جمع العلوم والمعارف وقراءة الكتب من غير اعمال الروية فيما يقرؤه كان خليفاً بالحرمان من ثمرة العلم والحكمة

ثم ان العاقل اذا فهم كتاباً وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له ان

يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه. ولا تكون غايته
اقتناؤه العلم لمعاونة غيره فيكون كالعين التي يشرب الناس ماءها
وليس لها في ذلك شيء من المنفعة وكدودة الفز التي تحكم صنعتهم
ولا تنتفع به فينبغي لمن طالب العلم ان يبدأ بمعة نفسه ثم عليه بعد
ذلك ان يقبسه

أقول ما أشوق الناشئة الى العلوم والمعارف ولكن أين هم منها
وليس بين ايديهم ما يرشدهم الى مناهلها ومواردها وما أشوقني الى
ايقافهم على جليات الامور حبا لترقيهم

فلا عمان من الآن جهد الاستطاعة فيما يلي شأنهم وأنفجهم
بثمرات الحكمة وزهرات الادب كلما سنحت ساحة من الفرص
موقنا ان ذلك قربى الى الله وزانى لديه بل اراه طبيعة لازمة للنفس
لا تفارقها . واني لأبر بقسمي واتقدم الى الناشئة المصرية بكتاب
أراه خير ما يهدى اليهم وهم يستقون العلم ويتغذون بلبان المعارف
وحسبي ان هديتي هي كتاب في الاخلاق للاستاذ الحكيم الشيخ
طنطاوى جوهرى درسه لطلبة مدرسة دار العلوم ورأيت ان
أبرزه وأشره

ولا غرو فقد عودنا الاستاذ الحكيم ان ينفث بيراعته سحر
البيان فيأتي بالدرر الغالية وكل جوهرة يتيمة . ترى الاستاذ نهج
في كتابه هذا منهجاً جميلاً بحيث جمع بين العلم والفلسفة واللغة مع
ملاحظته اثبات اقوال علماء الاخلاق . ولا اراني مبالغاً اذا قلت ان
هذا الكتاب سيخلق الافكار والعادات خلقاً آخر فيسطع نور حكمته
وتتلاشي امامه دياجير الجحالة ويأخذ بقرائه الى الترفع عن الحيوانية
واحتقار ما هم عليه من فساد العوائد واستصغار الاخلاق الشائعة ويرج
بهم الى حياة الانسان الحقيقية حيث تقوم الفضائل ومكارم الاخلاق
هذا هو كتاب (جوهر التقوى) انشره بين طبقات الامة
المصرية تذكرة لمن يخشى وحسبنا ما مضى من التفريط والتهاون
في كل وسائل الرقي . قد أفلح من تركي . وذكر اسم ربه فصلي .
بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى . ان هذا اني الصحف
الاولى صحف ابراهيم وموسى

ذكره يا احمد رشدي

منشئ ومحرر مجلة الرشديات

﴿ فطبة الاسنان الافتتاحية لطبة مدرسة دارالعلوم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أيها الطلاب ان
الله عز وجل قد اجتباكم من صفوة المتعلمين. واختاركم من خيرة
اهل العلم والدين. لتكونوا متعلمين اخياراً. ومعلمين اطهاراً. فاعرفوا
قدر النعمة واشكروها بالخدمة وتولوها ب مداومة العمل. عسى ان
تنالوا الامل

ان للمتعلم آداباً وعليه واجبات. ان قام بها رفعته. وان أهملها
واعرض عنها سفعت بناصيته خفضته. ورمت به الى اسفل سافلين.
من آدابه نظافة ظاهره بتمهد البدن والثياب. بالنظافة وكثرة
الاغتسال. وتطهير الباطن من الادناس والارجاس والعيوب، ومن
لم يعط الجسم حظه من النظافة، ولم يؤد للروح حقها من التخلي من
العيوب، شغفته الادران الظاهرة عن المطلوب، وحجبته ظلمات

نفسه عن درك العلم المرغوب . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

القلب مرآة ان جلوتها تجلت فيها وجوه الحكمة والعبر ، وان خليتها تراكت عليها الاصداء ، وذرت عليها التراب الذاريات ، فلم تصلح متجلى للناظرين . ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب . العلم انما تنمو زروعه وتزهو اشجاره . وتنضج اثماره . اذا كانت في ارض طيبة صالحة لزرع الزارعين . والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا . كذلك نصرنف الآيات لقوم يشكرون . قال بعضهم يطيب القلب للعلم كما تطيب الارض للزراعة .

ومن آداب المتعلم ان يحرص على الطلب ايام دراسته ، ولقد اصطفتيم لتكونوا معلمين ، ومن لم يحصل في ايام شبابه وهو مع الطالبين ، فما أحراد باخزي ايام كهولته وهو مع المدرسين . قال سيدنا عمر بن الخطاب تعلموا قبل ان تسودوا . وقال سيدنا الامام الشافعي رضي الله عنه تفقه قبل ان ترأس . فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه . وكما ان الآخرة نتيجة والدنيا مقدمة . فالكبر نهاية والشباب بدايته .

ومن لم يحكم امر البداية لم يحز الفضل في النهاية. (ومن كان في هذه أعشى فهو في الآخرة أعشى وأضل سبيلاً). وفي الحديث الشريف فليأخذ العبد من نفسه لنفسه. ومن دنياه لا خرتة. ومن الشبيبة قبل الكبر. ومن الحياة قبل الموت. والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار. ومن آدابه ان يأخذ من كل فن طرفاً صالحاً ليكون ذا بصيرة في أمره. وعلى بيئة من اهل زمانه. مشاركالهم فيما يعملون. ولقد من الله عليكم بهذه المدرسة. وفيها فنون العلوم. وصنوف الحكم. فاستقبلوا ما يلقى عليكم بقلوب واعية. ونفوس صافية. فاشكروا الله عليها بقبول هديته. وافرحوا بفضله ومنحته. (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون). ومن آداب المتعلم ان يتواضع فان المتكبرين براء من العلم. محرومون من الفهم. قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق. ومن آدابه ان يخلص لله في الطلاب. ويتوخي تكميل نفسه. ويعدّها لتكميل الطالبين. اذا حل الاجل. وجاء دور العمل. الا وانكم اليوم تستقبلون اياماً غير ايامكم الماضية. واحوالاً غير احوالكم السالفة. فاقروا المعلم

لتفقهوه. ولا تقرأوه لنيل الشهادة. أو ارتقاء الدرجات المعتادة. فإن الله عز وجل يعطي الأدنى. عند طلب الأعلى. ومن زرع حنطة أكل وأكلت معه الدواب. ومن اختص حقله بالكلاً والبرسيم. حرم أعلى الثمرتين. ونال أدنى الزرعين (من كان يريد حرث الآخرة نزده في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)

ولقد ضرب الله الكلب مثلاً لبعض العلماء الطامعين الذين اتخذوا العقل خادماً للشهوات. والعلم وفقاً على الماديات. فقال الله فيه (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه) فجدوا في العلوم لا كتناسلها. واشراق نورها. وبهاثها ومحاسن جمالها. ولا تطلبوها تباهاً. وتفخراً ولا رياء وسمعة. فالدر يستخرجه من البحار الغائصون. والتبر في معدنه يرتاده الطالبون. الا وان الله جعل النشء في البلاد المصرية مواضع ارشادكم. وحقول زرعكم. فان صلاحكم ضلحت قلوب المتعلمين. وان كانت الاخرى والعباد بالله قلا عدوان الا على الظالمين. ولقد اصبحت البلاد المصرية والحمد لله ميداناً للتسابق. ففتحت ابوابها ونشرت اعلامها. وستكونون

ان شاء الله تعالى قادة الناشئين . وقدى للصالحين . فاعقدوا فيما
 بينكم عقد المحبة . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . ولا تحاسدوا .
 ولا تباغضوا . ولا تدابروا . ولا يقولن امرؤ منكم . قد سبقني فلان
 حقداً عليه . فذلك قول الجاهلين . واياكم والجدل المقوت . فما
 ابتليت به امة الا ذات واضحت في الهالكين . وتعلموا ان العامة
 والخاصة اليكم ناظرة . واللسن مساوئكم ذاكرة . وقلوب الجهال
 لمحاسنكم ناكرة . فاذا خلع العذار فاجر . قال هكذا رأيت المعممين .
 واذا شهد الزور . وسعى الى الفجور . واضاع وقته . ونال مقتله . قال
 هكذا رأيت سنة اهل الدين . فاقطعوا ايها الطلاب السنة المغتايين
 بالفضيلة . ولا تكونوا دعاة الجهل باعمالكم . وقادة الخير باقوالكم .
 وابتغوا لذلك سبيلاً . حافظوا على شرف هذا المظهر الديني .
 واحذروا ان يشلم شرفه الرفيع . واياكم ان تلجوا مواطن الشبهات .
 فيسلفكم الناس بالسنة حداد . فان الجهلة احرص على ذم العلماء . للحسد
 الكامن في صدورهم على ما اتاهم الله من فضله . وليكون ذلك حجة
 للذام اذا اجترح انكاً . واقترب ذنباً فيدفع عنه لوم اللائئين . وبكسر
 من حدة المؤنبين . الا وان طلب العلم من الجهاد . والمجاهد ليس

بعبه الا ان يغلب عدوه. او يموت في سبيل الله. وكلما كثرت صفوف
المحاربين وعدت الشجعان القادرين. كان أشد قوة للمجاهدين وانكى
للمعتدين. الجهل الدالاعداء واخوانك صفوف المحاربين. واساتذتك
قادة الطالبين. فاي طالب خاصم اخاه. او لاحاه. او جادله. الا اطلب
الحقيقة. فقد نصر عدوه وهو الجهل. وخذل صديقه وهو العلم واليقين.
(قال ابو الدرداء رضي الله عنه من رأى ان الغدو الى العلم ليس
بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله) فأعدوا ايها الطالبون انفسكم
الى ما سياتى اليكم زمامه من تربية النابتة المصرية. ولتكونوا مصاييح
بكم يستغنيون. ويستضيء الناس اجمعون. ان العلماء سرج الازمنة
فكل عالم مصباح في زمانه يستضيء به اهل عصره.

ان الله جعل للمعلم فضلا عظيما. واجرا كبيرا. وشرفا رفيعا.
قال تعالى (واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية
(ما أتى الله عالما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين
لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فاعرفوا قدر نعمتكم وحافظوا على
آداب العلماء. واخشوا الله في خلواتكم ومجالسكم (انما يخشى الله

من عباده العلماء) فمن اجل مقامه وارفع رتبة واعلى شرفا ممن اجتباه
وهدهاه . وعطفه عليه وعلى ملائكته واصفيائه فقال (شهد الله ان
لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم) (الا وان العالم هو الداعي الى الله على بصيرة . يدعو
طبقات الامة الثلاث للخيرات يدعو الاعلى بالحكمة البالغة والادنين
بالموعظة الشافية . والمعاندين واهل الجدل بالتي هي احسن) قال
تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي
هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)



القسم الاول

في المسائل العلمية

﴿ معنى الخلق ﴾

هو هيئة راسخة في النفس عنها تصدر الافعال بسهولة ويسر
من غير حاجة الى روية ولا فكر فلن يكون العمل خلقاً ولا العلم
ولا القدرة فكم من باذل للمال لا كرم عنده لريائه والعلم يتعلق بالجميل
والقبيح

والقدرة الانسانية صالحة للضدين من بذل ومنع واقدام
واحجام وعدل وجور

فالخلق انما هو صفة النفس وصورتها الباطنة وهو حسن وقبيح
فالحسن ما جمع بين الحكمة في القوة العقلية . والشجاعة في
القوة الغضبية . والعفة في القوة الشهوية . والعدل بين هذه الثلاث
بان تطيع الشهوات والعقل . والقبيح من خلافها ويقل من استكمل

الحسن او القبح واكثر الناس بين ذلك

﴿ حسن الخلق ﴾

حسن الخلق يرجع لكمال النفس . وكمالها بهذه الاربعة .
الحكمة . والشجاعة . والعفة . والعدل . بحيث نميز بالحكمة بين
الصدق والكذب في القول والحق والباطل في الاعتقاد والجميل
والقبيح في الافعال وتخضع الشهوتين للعقل ونعدل بين الثلاثة
قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)
الا ترى ان الايمان مناطه الحكمة او القوة العقلية والمجاهدة
بالمال أثر صالح

والمخاطرة بالنفس غاية الشجاعة الصائنة للقوة الغضبية

﴿ فضيلة حسن الخلق ﴾

قال الله تعالى (وانك لعلی خلق عظیم) وقال صلى الله عليه
وسلم انما بعثت لأتم مكارم الاخلاق وقال اثقل ما يوضع في الميزان
تقوى الله وحسن الخلق

واتاه رجل من بين يديه ثم من قبل يمينه ثم من قبل شماله

وهو في كل ذلك يسأله ما الدين فما كان جوابه الا ان يقول له
حسن الخلق ثم اتاه من ورائه يسأله فقال اما تفقه هو الا تغضب
وسئل صلى الله عليه وسلم لم اى العباداة افضل قال حسن الخلق
وسئل اى الاعمال افضل قال خلق حسن

﴿ التَّوَارِثُ فِي الْخُلُقِ ﴾

منها التوارث عن الوالدين والمخالطة

﴿ التَّوَارِثُ عَنِ الْوَالِدَيْنِ ﴾

انا نشاهد الولد قد يرث عن والديه الطول والقصر والحسن
والقبح واللون والصحة والمرض والقوة والضعف وما شاكلها من
الاعراض الظاهرة

هكذا يرث اخلاقا بالمنة تدعوه للخير وتوقعه في الشر وبها
يميل للفضيلة او يقع في الرذيلة من ابان صغره وزمن صباه
لقد شاهدت ايام العطلة في حجرة الاشكال والتماثيل الانسانية
الممثلة للأمراض المعضلة من الداء الافرنجي والاثار السيئة التي
ولدها ادمان المسكرات

في مدرسة الطب المصرية صبيًا حديث العهد بالولادة مقروح

الجلد مشوه الوجه قد ابيضت عيناه من المرض وبرزت على جبهته
بثور وقروح كأنها محرقة بالنار . ذلك من جنابة والديه وسهم به
رمياه ورمح به قبل تمام خلقه ضرباه فاصمياه

هكذا نرى الصغار مختلفي الاخلاق جبنا وشجاعة وكرما وبخل
وشراسة وحما وهم لا يعقلون ولا يعلمون

فهذه المشاهدات تدلنا على انه من الاسباب المؤثرة في
الاخلاق الميراث عن الوالدين

﴿ البيئة ﴾

انا نشاهد الفرق واضحا بين ولدين احدهما يسكن الجبال
ويشاهد الاحجار والصخور والسباع والنور والشواهين والصقور
وآخر درج في المدن وعاش في الترف وتربى في النعيم واحيط
بالملاذ والشهوات وحفظ من الشمس وضحاها ومن القمر اذا تلاها
وهو بعد لم يعلم دروس الشجاعة ولم يتلقف ممن يحيطون به الا
دروس الخلاعة .

فاما الاول فتراه شجاعا قوي القلب مقداما واما الآخر فانه
جبان هلوع اذا مسه الشر فهو جزوع واذا مسه الخير فهو ممنوع

الا اذا تربى تربية حسنة

فذلك برهان ان للبيئة تأثيرا على الاخلاق ولقد استمسك
علماء المذهب الاجتماعي في القانون بأن البيئة منبت الاخلاق
ومصدر الجرائم وان الناس ابناء بيئتهم مزارع مجتمعتهم تابعون لها
صلاحا وفسادا

وعدوا الجريمة مرضا والقاضي طبيبا والسجن مستشفى
واستصغروا العقوبة البدنية فان فائدتها عقيمة لا تستأصل الذنوب ولا
تزيل العيوب

﴿ الدين ﴾

فاما الدين فانا نشاهد لكل اتباع دين من الديانات اخلاقا
وعادات يمتازون بها عمن سواهم تبعا لعقائدهم وطوعا للاوامر الملقة
لهم من شيوخهم وعظماهم فترى للدين الواحد اخلاقا عامة في
اتباعه انى كانوا في مشارق الارض ومغاربها وان تباعدت بهم الاماكن
وتنابت بهم الاوطان كالنصارى والمسلمين واليهود في الشرق والغرب
واعتبر ذلك في الامم الاسلامية القاطنين في اسيا وافريقيا واوروبا
فانهم أموا قبله واحد في صلواتهم الخمس وتناسبت حركات صلواتهم

وكلمات دعواتهم وخضعوا بذلك لربهم وقام فريق من كل قبيل كل سنة يؤمون الكعبة ويتشاورون في امورهم الدينية والدنيوية ويتفاوضون في شؤونهم ثم يرجع المسافرون الى اوطانهم فينشرون احاديث الحج وذكر الاماكن المقدسة . كل ذلك داع حثيث لتعاطفهم وتراحيمهم وتوادهم وتخلقهم باخلاق دينهم والقيام بشعائره وتأثرهم بما اضافته الجوارح على القلب من الاثار الصالحة والفضائل العالية .

وقد يؤثر دين الامة اخلاقا سيئة اذا عدل به عن سننه ونسب القائلون به له انه يحض على القعود عن الكسب او يأمر بالعطف على العشيرة وحدها واشقاء غيرها لاسعادها كما اعرفه في بعض الديانات القديمة المبيحة للربا مع غير اهل الدين وتحريمه معهم فظهر ان للدين اثرا في النفوس وهو من المؤثرات في الاخلاق

﴿ المخالطة وتأثيرها في الافعال ﴾

اما المخالطة فانا نشاهد الصبيان يتعودون بعادات الوالدين اذا لازموا في غدهم ورواحهم ودرجوا معهم ممساحم ومصبحم فترى الولد يتلطف عوائد ابيه ويحب من احبه ويكره من كره اذا لازمه

كقول من قال

وينشأ ناشيء الفتيان منا * على ما كان عوده أبوه

فإن ساعده الحظ ولا حظته العناية وبعث به الى المدرسة او
المساجد الدينية تعود بعوائد شيوخه واصبحت نفسه نسخة من
نفوسهم مطابقة لاصلها . ونرى الرجل الذي درج بين الشجعان
شجاعا وبين الجبناء جبانا وبين الصالحين صالحا ومما يسند لسيدنا على

يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه

وللناس على الناس * مقاييس واشباه

وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

كما ان الوقود يوضع في النار فيتقد وفي البرد فيطفأ والماء
ضربه البرد انقلب ثلجا او مسته الحرارة صار بخارا هكذا الانسان
يكون من الصالحين والطالحين بحسب من يعاشرهم ويصاحبهم قال
الامام الغزالي ان جنتك ونارك اثران من اثر من تعاشرهم . فثبت
ان المخالطة من الاسباب القوية في الاخلاق وظهر ان من أقوى
المؤثرات في الاخلاق الميراث عن الوالدين والبيئة والدين والمخالطة
واما العادة فانها كما يقال طبيعة خامسة

﴿ مقصود علم الاغصان ﴾

تخليّة النفس وتخليتها - السعادة الحقيقية والسعادة العرضية -
آيات قرآنية - دفع وهم - حكاية

إليك اللهم نوجه هممنا وتقدم نفوسنا ضارعة إليك ان تهدينا
الصراط المستقيم صراط الذين اخلصت نفوسهم من شوائب الرذائل
ووضعت عنهم اصر الغوائل ووصلت لهم حبل الفضائل فنبذوا الحقد
والحسد والتقاطع والتدابير والكبرياء ظهرياً وقاموا إليك بجمعهم
يشكرون ونستعين بك في هدايتنا للاخلاق الفاضلة علماً وعملاً
وتمكيناً حتى ننال السعادة مع الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً

﴿ علم الاغصان ﴾

مقصود علم الاخلاق ان تتخلي عن الاخلاق الرديئة الشائنة
وتتباعد عن الشرور المزرية وان تتخلي بالاخلاق الفاضلة بحيث تصدر
عنا الافعال الجميلة بلا كلفة ولا مشقة وان يكون ذلك على نظام
طبعي وترتيب علمي

﴿ مخبة النفس ومخبئها ﴾

كم يلصق بالانسان من عيوب ورثها عن الوالدين وكم وصمة تناله من قرنائته وعشيرته واهل جيله المخالطين الا وانها لتدنس نفسه وتصميمها وتخفي سعادتها وترديها الا وان هذا العلم جلاء لصدئها وحلية لجوهرها (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

الناس مختلفو الغرائز متفاوتو المشارب ورب امرئ، خلا من اكثر العيوب بجبلته ومعاشرته وكثير من الناس يرثي لهم بما اتفق لهم ايام الشباب وعلق بهم زمن الصبا والآخرين احوج لدراسة هذا العلم والتحلي بجماله والتجمل بكماله

﴿ السعادة الحقيقية والسعادة المرضية ﴾

التكاثر بالمال سعادة الجاهلين والتباهي بالرياش واللباس والزينة حظ المغرورين والتفاخر بالحلى والوان الطعام والانهماك في اللذات شأن الغافلين

ان كل ذلك لما سلم لسعادة النفوس وطريق لصلاح الروح فمن وقف في الطريق الحيواني الذي ذكرناه فقد شقي شقاء الابد

وتنزل عن رتبة الانسانية واستبدل الذي هو ادنى بالذي خير وابقى

﴿ آيات فرآينه ﴾

قال تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون) وقال جل شأنه (يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) وقال تبارك وتعالى (ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) وانما كانوا اضل من الانعام لانها لا يتسنى لها درك رتبهم وهم عليها قادرون ولقد فعات غاية ما خلقت له وهم مقصرون فيما هم له مخلوقون فاي سعادة لمن دس نفسه في طوائف الحيوان . واي فرح ونعيم لمن حبس نفسه في سجن الشهوات . وزجها في ظلمات الآراء الفاسدة . والاخلاق الشائنة . من الحقد والحسد والطمع والشره وقصر العقل على ما به يتمتع الحيوان

﴿ دفع وهم ﴾

اياك ان تظن ان من يزكي نفسه ينبذ المال ولا يتجمل باللباس او لا يتعاطى من اللذات ما به يعيش كلا وانما الفارق بينهما ان

الجاهلين الاشقياء يظنون ان الشهوات غايات والفضلاء السعداء يعلمون انها مقدمات واحذر الخطأ في هذا المقام فانه مزلة الاقدام

﴿ مطية ﴾

سئل بعض العلماء بم شرف الانسان أبتعاطي الوان الطعام قال كلا فالخزير اكثر اكلا منه . قيل فباللباس والزينة . قال كلا فالطاووس أجمل زينة منه . قيل فبالغلبة . قال كلا فالاسد اشد قوة منه . قيل فبعظم الجثة . قال كلا فالفييل اعظم منه . قيل فبماذا قال بالعلم والخلق الجميل

﴿ عناية القرآنه بتهذيب النفس ﴾

من تصفح آيات القرآن وتدبرها رأى انه حث على التخلق بالاخلاق الفاضلة في اكثر من سبعمئة آية كما حث على النظر في عجائب الحكمة الالهية في مقدار هذا العدد

اوليس من العجب ان تغفل عما به أمرنا الله اوليس من الخجل الا يكون لنا حظ من الاخلاق الفاضلة وبحث وتنقيب عما في العوالم العلوية والسفلية من العجائب الحكيمة نبذنا الاخلاق وجهلنا عجائب الصنعة الالهية والكتاب يأمرنا والله يندرنا . ألم تر كيف

يقول الله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً الآية)
ويقول (واذكر في الكتاب إسماعيل أنه كان صادق الوعد وكان
رسولاً نبياً وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً)
فانظر كيف قدم صدق الوعد في أول أوصافه ولعمري أن مثل هذه
الأخلاق من أول واجبات الدين

أنا لا أطيل بذكر الآيات فإن لذلك مكاناً آخر وكما حث عليه
القرآن الشريف اهتم به الحكماء في مشارق الأرض ومغاربها من
مصريين ويونانيين ورومانيين ومسلمين وأوروبيين وجعلوه قسماً
من الحكمة العملية وذلك أن الحكمة (هي معرفة الأشياء بقدر
الطاقة البشرية والتحلي بالأخلاق المرضية) . أما نظرية وأما عملية
والأولى هي الرياضيات والالهيات والطبيعات والثانية هي تهذيب
النفس وسياسة المنزل وسياسة المدينة فهي من أقسام الحكمة العملية
ولما كان مقصود هذا العلم تهذيب النفس وجب أن نبحث عن
ماهيتها وحقيقتها على قدر الطاقة البشرية فنقول : —

النفس جوهر شريف مخالف لماهية الجسم وحقيقة ألا ترى
أن الجسم لا يقبل شكلين معاً ولا تتزاحم عليه الألوان والأعراض

بل يتلقاها واحدة واحدة فلكرة لا تقبل التربع والطويل لا
يقبل القصر الا اذا محي اول الشككين واستبدل بآخر والشمع
المطبوع لا يقبل غير نفسه مع بقائه والمعدن لا يقبل نقشين معاً
والذهب لا يصاغ قرطاً وسواراً معاً وليس يكون الجسم ابيض
واخضر او احمر معاً

وهذه الاوصاف تنافي احوال الروح وتغاير خواص العقول
فاننا نحس بالفرح والحزن والنفع والضرر ونتصور الطول والعرض
ونعقل علوماً ونتذكر حوادث واحوالاً ولا يغير اخرها اولها ولا
يمحو لاحقها سابقها وقد يزداد المرء قدرة بعلم سابق على حوز
علم لاحق ومن عجب ان تتصور الالوان والطعوم والروائح ولا
تتصف بتلك الاوصاف وهذا مبين لحال الاجسام

والعقل يدرك المقولات وهو بها مغرم وله قضايا اولية
ليست عن الحواس تتعالى بهيمته الى قمة الجوزاء ويتصرف بها
في اكناف السماء يدرس الافلاك وحسابها والنجوم ومداراتها
والطبائع ويوأميدها. وليس ذلك بزائد في جسمه. انه لا بألف الا
المحسوسات بالحواس مما يزيد قوة وطولاً وعرضاً. يغلط الحس

فيرى الكبير كالشمس في السماء والرجل فوق الجبل الشامخ صغيراً.
والساكنات من الاشجار متحركات ذلك شأن راكب السفينة وقطار
البخار. وليس يدرك غلظه الا العقول والمزيف للشيء ارقى منه.
والعالم الكامل ارقى من العابد الجاهل. الا واز الروح من جوهر
ارقى من الجسم. كم يذم الناس ويأتقون ممن يستزيد من الطعام
والشراب. ويحبون ويمدحون من تحلى بالعلوم. وجعل حيانه وقفا
عليها وتقم العباد ورفع البلاد

فما اعظم الفرق بين الرجلين. وما ابعد المسافة بين الجوهرين.
الجسم والروح

العقل يعلم ويعلم انه يعلم ويعلم نفسه والعين مثلاً لا ترى نفسها
ولا تنظر ما داخلها

﴿ كمال النفس ﴾

كمال النفس بالاخلاق والعلوم فهي خاصتها التي بها تمتاز عن
سائر المخلوقات وكما ان للشمس والقمر والجماد والنبات والحيوان
كمالات خاصة بها كالضياء والنور وحدة السيف وثمره النخل وكر
الحصان وفره هكذا كان كمال الانسان الخاص من بين سائر

المخلوقات الاخلاق الشريفة والعلوم العالية كما ورد في حديث
(تخلقوا باخلاق الله)

﴿ اقوال عامة في تهذيب الاخلاق ﴾

(١) النظر في جمال الطبيعة الالهية (٢) العمل المؤدي لحسن
الخلق (٣) الطرق الاربعة عند العلماء في التهذيب (٤) القرآن
(٥) اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

عرفت ايها الطالب ان الروح جوهر لطيف جميل يخالف
الاجسام ولها السيطرة العظمى والسطوة الكبرى على المادة
وتوابعها ولها شوق وتوق الى الجمال والمحسن والنضارة وبهجة
الاشكال لما لها من الاستعداد التام للعلوم والمعارف. وايس الاجسام
ان تقبل الا اشكالا محدودة واصباغا معدودة كما قدمنا بالبرهان.
فاذا استجليت المناظر الطبيعية وتبينت جمالها عرفت وجوه المحاسن
وتجلت لك بدائع الجمال في القبة السماوية والكرة الارضية والمعجائب
الحوية. فقد رسمت في لوح عقلك. واودعت في خزائن نفسك.
ونقشت على صفحات قلبك. صور الجمال وصبغة تلك الالوان
المعجبية والاشكال الربانية في الطبيعة الكونية بصبغة الجمال والكمال

(صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون)

تأمل السماء ونجومها وشمسها وهلالها وبدورها وفكر في
الوانها واقدارها وتناسبها وتناسقها ثم انظر السحب المزجاة في الجو
والرياح الذاريات والبرق الوامض والرعد والودق والثلج والبرد ثم
انثني الى البحار الملحة والانهار العذبة وانواع المعادن وما في الجبال
من جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرايب سود ثم عرج على
الحقول ذات البهجة للناظرين وما انبت الله في الارض من كل زوج
بهيج (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) واسمع تغريد الطير في
اوكارها وخرير المياه في انهارها وكن من المفكرين

المنظر الجميلة البديعة في الصنعة الالهية تعشق نفسك في
الفضيلة وتدعوها للترقي في الحكمة مع العالمين الا وان بين الارواح
والجمال مناسبة فاذا رآته الفته وعشقت الفضيلة والاعمال فضلا عما
تردان به من الحكمة والعلم ولذلك ورد في القرآن للبحث على النظر
من الآيات ما يربو على سبعمائة آية هي جواهر القرآن. الا وان
الرياض الزاهرة والبساتين الناضرة ودوحاتها المزهرة واطيارها
المفردة نعمة من الله ورحمة للناس ومدارس لتحسين الاخلاق وتهذيب

النفوس ولذلك تجد الامم أوفر بساتين وأكثر رياضاً كلما كانت
أرقى مدنية وأوسع ملكاً وأوسع علماً. فعلى الامم الراشدة ان تنشئ
الرياض وتغرس الاشجار وعلى طلابها ان يتبوا أوامقاعدها ويتفثوا
ظلالها ويستنشقوا عبقرها كلما سنحت لهم ساحة الراحة من
الدراسة لتكون الراحة لهم تهذيباً وتأديباً وبهجة وجمالاً ويستهبوا
بنضرتها ويميروا ما بين محاسن جمالها في دوحاتها وطرقاتها وهم فرحون
ليقرأوا قوله تعالى (ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة ان الله لطيف خبير) وقوله تعالى (فانبتنا به حدائق ذات
بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها)

﴿ الاعمال المنزلة لحسن الخلق ﴾

منها المحافظة على الصحة وتدير الغذاء ومراعاة اوقاته

واجتناب التخممة

ومنها النظافة الشرعية وتكرار الاغتسال ومن عجب ان

يقول الانجليزي بنتام ان من واطب على الطهارة الشرعية في الدين

الاسلامي خلا ظاهره من الذنوب وبرئت نفسه من العيوب ولقد

استقرت المجرمين الذين جمعهم السجون فلم أر فيهم الا قدراً للجسم

وسخ الثياب فالطهارة من محاسن الاخلاق

ومنها ترتيب الثياب وادوات المنزل والمحافظة على النظام
واجتناب مخالطة الذين ساءت اخلاقهم من اهل الشر والجرال ومخالطة
العلماء ومجالسة الحكماء ومجاورة الصالحين

ومنها ان يجعل المرء لكل وقت عملاً خاصاً وللراحة وقتاً
وللشغل وقتاً

ومنها توجه القلب في الصلاة لله عز وجل حتى يشرق بالجمال
وحسن الخلق كما قال تعالى (ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر)
ومنها الرياضة الجسمية

﴿ الطرق الاربعة لتهديب النفس ﴾

(١) العقل (٢) الشيخ (٣) العدو (٤) الصديق

للعلماء في التهذيب طرق اربعة ذكرها الامام الغزالي في الاحياء
فمنهم من ينصح للطالب بالاعتبار بما يلوحي له في معاشريه وما يبدو
له من مخالطيه فيتخذ منها الحسن لنفسه ويصطفيه ويتجنب باطالها
وينفيه ولهذه الاشارة بقوله تعالى (فبشر عباد الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو

الالباب) وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه
وأرني المنكر منكراً وأرزقني اجتنابه وأعذني من ان يشتبه علي
فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخـذ
رضا لنفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق
بإذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

(مصاحبة الشيخ) وبعضهم ينصح للجاهل ان يصاحب شيخاً
ورعاً فاضلاً مخلصاً كالامام الجنيد ومحيي الدين بن العربي من مشايخ
الصوفية

(الاعداء) ومنهم من يجتنب ما تقوله فيه اعداؤه من العيوب
وما يعيره به الشائئون في وجهه عند احتدام وطيس الخصام وانقصاص
عري الوفاق فيتجنبه ورب امرىء نفعه ذم اعدائه وكان شائته
في الذم انصح له من صديقه في المدح. وعدو عاقل خير من صديق
جاهل

شعر

عداي لهم فضل علي ومنة * فلا أبعد الرحمن عني الاعداء
هو بحشوا عن ذاتي فاجتنبها * وهم نافسوني فاجتنبت المعاليا
(الاصداقاء) ومنهم من يتخذ صديقاً يبحث في اخلاقه ويفتش

عن عيوبه ويذكرها له بلطف وادب بحيث لا ينفر طبعه ولا يؤلم نفسه ولا يشمر بنقص شأن ولا عيب قاضح وإنما يكون بقول لين وكلام حسن فيذكره ما نسي يزيد مما به هداد وافضل الطرق اولها فانه الدال على باقيها ولكل وجهة هو موليها وان اتخاذا الصديق وانتهاج خطة الشيخ والتنحي عما يذم به الاعداء نعمة من نعم العقل وكوكب اضاءته شمس وبدر كامل اشرق نوره منه

وليس اجمع لمكارم الاخلاق ولا ادل على احسن الشيم ولا اقرب لسعادة النفوس من انتهاج خطة القرآن والاقتداء به صلى الله عليه وسلم

﴿ آيات القرآن الكريم ﴾

علمت ان الله جل جلاله دعا الانسان للفضيلة بجمال العوالم ومحاسن الطبيعة وعجائب الخلقة وخلق الانسان في احسن تقويم وتقول الآن انه لم يشأ ان يدع الانسان وشأنه بلا تذكرة ولا تبصرة في العالمين كلا بل ارسل الانبياء واوحى اليهم ان علموا الناس علوم الفضيلة وجمال الاعمال

حسبك ما ترى في القرآن من الدرر الالامعة والعلوم النافعة

في الاخلاق ومحاسن الاداب واول من شرقت عليه
 انوارها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذ قال الله يرشده
 للتجاوز عن المغفوات ودفع السيئات بالحسنات (ادفع بالتي
 هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما
 يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذوو حظٍ عظيم)
 وقال يدعو جميع الناس لكظم الغيظ في مواطنه مادحاً
 للمصنفين به من الناس (والكاظمين الغيظ والعافين عن
 الناس والله يحب المحسنين) ولقد قد منالك ان في القرآن
 نحو سبعة اية في الاخلاق . ولوانك فرأت الايات المتشابهة
 في سورة الاسراء لقضيت العجب العجيب من الدرر الالامة
 والحكم البالغة من الاخلاص لله في العبادة واحترام الوالدين
 والقيام عليهما في كبرهما ورحتهما وايثاء ذي القربى حقه
 ومواساة المساكين ومنح ابن السبيل ويكون ذلك بلا اسراف
 ولا تقتير واقبيح الزنا وقتل النفس وحفظ مال اليتيم والوفاء
 بالعهد وايفاء النكيل والميزان ووقوف النفس عند حدها فلا
 تقل مالا تعلم ولا تقف في العمل مالا تفعل فنحن عن

السمع والبصر وسائر الحواس مسئولون ولها حافظون فاذا
 غرطنا في حفظها وتركناها ترتع في مراتع الملكة او افرطنا
 في منعها وحبسها فاننا في الحالين معاقبون . وكم ورد في
 القرآن من قصص حسنة . نحض على النضائل وننفر من
 الرذائل . الا ترى ما في قصة عاد من افراطهم وتجاوزهم الحد
 في بطشهم وظلمهم حتى قبل لهم ا واذا بطشتم بطشتم جبارين
 والى مدين اذ نقصوا المكيال والميزان . فدمروا تدميراً . وذهبت
 دوائهم . والى قوم فرعون اذ طغوا في البلاد . فاكثروا فيها
 الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك لبالمرصاد
 للأُمم . يا اياكم اذا فرطوا في الرذيلة وناسخوا من الفضيلة .
 (وانما الأُمم الاخلاق ما بقيت)

فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا)

والجملة فالقران الكريم حمل الاخلاق الفاضلة باب
 السعادة الدنيوية والاخروية فتارة يذكر الاخلاق الحسنة
 كالصدق والعفة والشجاعة واوئنه يذكر القصص الحسنة ومن
 الاول (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

(ومن الثاني والذين هم لفروجهم حافظون) (نخاف من
 بعدهم خلف ورثوا الكتاب بأخذون عرض هذا الادنى
 ويقولون سيغفر لنا وان بأنهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ
 عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا
 ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون) هذه
 الايات وردت منفردة من الرشوة وحاشة على القضية بالاقلاع
 عنها والقناعة بما آتانا الله من المال (واذكر في الكتاب مريم
 اذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) الخ هذا في العفة وقال في
 الشجاعة : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
 مع الصابرين) (وافداً ايها داوود وسليمان علماً وقالوا الحمد
 لله الذي فضلنا على كثير من عبادة المؤمنين) للترغيب في
 فضيلة العلم

✽ افعلوا النبي صلى الله عليه وسلم ✽

قد رأيت كيف كانت عناية القرآن بالفضائل فلا
 عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم اعلم الناس به واكرم
 الناس اخلاقاً حتى قال (بمثل لائمه مكارم الاخلاق)

ومن عرف هذا الكتاب وعمل به جدير بذلك قال سعيد
ابن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن ابنيها فسألتها
عن اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اما اقرأ القرآن
قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن وذلك مثل قوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
عن الجاهلين) وقوله (ان الله يأمر بالعدل والاحسان
وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
لعلكم تذكرون) وقوله (واصبر على ما اصابك) وقوله
(ادفع بالتي هي احسن) وقوله (اجتنبوا كثيراً من الظن
ان بعض الظن اثم)

✽ تأديب الله للنبي صلى الله عليه وسلم ✽
ولما كُسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشجَّ يوم
احد جعل الدم يسيل على وجهه وهو يسبحه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم
فانزل الله تعالى (ليس لك من الامر شئ) . وقد مدج
الله النبي صلى الله عليه وسلم لما كل خلقه فقال (وانك

تعالى خالق عظيم) وبين للناس صلى الله عليه وسلم الخلق
 الحسن بقوله (ان الله يحب مكارم الاخلاق ويكره سفاسفها)
 فمن مكارمه صلى الله عليه وسلم ما روى عن علي رضي الله
 عنه قال يا عجباً لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا
 يرى نفسه للخير اهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى
 عقاباً لقد كان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق
 فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل اسمعته من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه
 لما اتى بسبايا طيء وقفت جارية في السبي فنالت يا محمد
 ان رأيت ان تخلي سبيلي ولا تشمت بي احياء العرب فاني
 بنت سيد قومي وان ابي كان يحمي الزمار ويفك
 العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم
 يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطائي فقال صلى الله
 عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كانت ابوك
 مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم
 الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق فقام ابو بردة ابن

خيار فقال يا رسول الله . الله يحب مكارم الاخلاق فقال
والذي نفس محمد بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله حفي الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال وكان
عليه الصلاة والسلام احلم الناس واشجعهم واعدلم واعفهم
واسخام لا يأخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فبوثر منه
حتى انه وبما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأنه شيء
وكان يخفض النمل ويرقم الثوب ويقطع اللحم مع اهله
وكان اشد الناس حياء وكان يقبل الهدية ولو انها جرعة
ابن او نخذ ارب ويكاتب عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة
ولا يستكبر عن اجابة الأمة والمساكين وكان افصح الناس
منطقاً واحلام كلاماً ويقول انا افصح العرب وكان كلامه
نزراً قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام
كسر دكم هذا كان كلامه نزراً وانتم تنشرونه
❦ صرحه صلى الله عليه وسلم ❦

قال سيدنا علي رضي الله عنه بعثني رسول الله صلى

الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا
 روضة خاخ فان فيها طمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا
 حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي
 من كتاب فقلنا تخرجين الكتاب او لنزعين الثياب فاخرجته
 من عقاصفها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من
 حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم امراً
 من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما
 هذا ؟ فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امراً ماصفاً
 في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة
 يحمون اهلهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب منهم ان
 اتخذ معهم بدءاً يحمون قرابتي ولم افعل ذلك ككفر ولا ارضى
 بالكفر بعد الاسلام ولا ارتداداً عن ديني فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقل عمر رضى الله عنه دعني
 اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه شهد بدر او ما يدريك لعل الله عز وجل قد اطعم
 علي اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وقسم رسول

الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار هذه
 قسمة ما اريد بها وجه الله . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه
 وسلم فاحمر وجهه وقال رحمه الله اخي موسى قد اودى
 بالشرس هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا
 يباغى احد منكم عن احد من اصحابي شيئاً فانا احب ان
 اخرج اليكم وانا سليم الصدر

✽ اغضاه . صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه ✽

قال اعرابي بالمسجد بحضرة فهم به الصحابة فقال عليه
 الصلاة والسلام لا ترموه اي لا تقطعوا عليه البول ثم
 قال ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا وفي رواية
 قربوا ولا تنفروا وجاءه اعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فاعطاه
 صلى الله عليه وسلم ثم قال له احسنت اليك قال الاعرابي
 لا ولا اجلت . قال فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم
 ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي وزاده
 شيئاً ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل
 وعشيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت

وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فانت احببت فقل بين
 ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها
 عليك قال نعم . فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه
 فزعم انه رضى عنه اُكذلك ؟ فقال الاعرابي نعم فجراك الله من
 اهل وعشيرة خيراً فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل
 هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها
 الناس فلم يزدوها الا نفوراً ، فناداهم صاحب الناقة خلوا
 بيني وبين ناقتي . واني ارفق بها واعلم . فتوجه لها صاحب الناقة
 بين يديها فاخذ لها معه قمام الارض فردها ، هونا هونا ، حتى
 جاءت واستناخت وشد عليها رحاها واستوى عليها واني لو
 تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار

﴿ نواضعه صلى الله عليه وسلم ﴾

كان اصحابه لا يقومون له صلى الله عليه وسلم . لما عرفوا
 منه كراهة ذلك . وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واني
 صلى الله عليه وسلم رجلاً فارعد من هيئته فقال له هون

عليك فليست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد
وكان يجلس بين اصحابه مختلطاً بهم كأنه اخدم فيأتي
الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا اليه
ان يجلس بمجلساً يعرفه الغريب فينوا له دكاناً من طين
وكان يجلس عليه وقالت له عائشة رضى الله عنها كل جماعى
الله فداءك متكئاً فنه اهون عليك قال فاصغى رأسه حتى
كاد ان تصيب جبهته الارض ثم قال بل أكل كما يأكل
العبد واجلس كما يجلس السيد

(القسم الثاني)

✽ تحليل الاخلاق والامور النفسية ✽

النزبية الجسمية

لقد أفضنا فيما سلف في اثبات النفس، وابنا كيف
باينت الجسم وان جوهرها أشرف وأعلى وأجل وأغلى، فلنبين
في هذا الفصل امتزاجها بالجسم وعلاقة احدهما بالآخر وظهور

اثار فعله فيه حتى عسر التمييز بينهما، ودق الفارق على الناظر
الحاذق، فتشابهها وتشاكل الامر حتى ضرب بهما الشاعر مثلاً
لتزواج المعنى بالكلم في قوله

(وكم معنى بديع تحت لفظ هناك مزاج كل ازدواج)

(كراح في زجاج او كروح مرت في جسم معتدل المزاج)

ولم يقف امد تزواجهما وتعسر التمييز بينهما على خيال
الشراء بل تخطى الى افكار الحكماء فتفرقوا طرائق وكل
حزب بما لديهم فرحون فقر بق اهمل امر الجسم وعكف على
اصلاح النفس وقال ما الانسان الا نفسه فهي القوامه عليه
المديرة له الحافظة لشكله، الساعية لتنميته تدبر احشائه وتغذي
اعضائه وتولي شأنه وان هو الا عناصر موءلفة وعماقايل
بالحقما الردي ويعروها البلى ولقد يمت المرء بكلمة توءذيه
ويفرح ويش بخبر يسره ويرضيه فالجسم وجود عدم.

وأخرون نبذوا الروح وراءهم ظهرياً كأنهم لا يعيشون،

واتبعوا في سيرهم امر جسمهم وقالوا ما الانسان الا الجسم
وما الروح الا عرض من اعراضه كسواده وبياضه ولثن

لحقه مرض او ألم به ألم او نقص او تلف تعدى للنفس
اثره فهو حاملها وحافظها بل جوهر عرضها

وجاء قوم اخرون ومن المستبصرين وقالوا بالجوهرين
وآمنوا بالتزوجين وجمعوا بين الدليلين ونظروا بالعينين فلم
يغفطوا الروح حقها ولم يسلبوا الاحسام حظها بل راعوا
الجانبيين وتربصوا الحسنيين ونظموا ادارة الجسم كما اداروا
مملكة الروح ا وانا لذلك مختارون ا

لذلك نظمنا جوهر الجسم في سمط عقد الاخلاق
لئلا نبخسه حقه فلا يقوان امرؤ الي اذا هذبت نفسي
وجعلتها عنوان درسي كفاي ذلك في التهذيب .

الا ان له أثرا في نفوسنا وسلطانا في عقولنا الا ترى
أن المرضى أسوأ الناس اخلاقا وان الاغذية والماء والاحواء
المدة لاجسامنا اثار انصل لنفوسنا كالقبض والبسط والفرح
والحزن فانها اذا كانت رديئة وصل للجسم انحراف على مقدار
رداءتها وان كانت سالحة فالصلاح اليه واصل وعليه وارد .
سرفي نظام جسمك على قانون الصحة يمتدل مزاجك

وتصف روحك . فلعمرك ما العلوم التي بها حلب الغذاء
 من صناعة وتجارة وزراعة . ولا نسلك الذي ترجو به بقاء
 ذكرك وظهور اثرك بنوع ما ولا نظام امك في اجتماعها
 وسياستها الا بعد حفظ صحة جسمك وادارة نظام هيكلك
 في الرتبة وما الاموال المجموعة ولا الاخوان المحبوبة بمغنية عن
 المريض شيئاً وانما من ذلك مدده واصلاحه فلا وربك لا
 امة الا من الاسرات وانما الاسرات مركبات من افراد فاذا
 اعتنأت الاجسام فلا اجتماع ولا ائتلاف ولا اخلاق ولا
 آداب ، تهذيب النفس شرع لتجاذب القلوب . وتحاب النفوس
 وائتلاف الافراد . ونظام الجمعية وتعاونهم اجمعين . فالتهذيب
 مؤخر في وجوده عن وجود الافراد والافراد قوامها
 الصحة

واباك ان يلج في خاطرك غرابة الكلام على صحة الاجسام
 في علم الاخلاق ار تقول نتركه لعلم قانون الصحة فانك عرفت
 قبلاً علاقتها وآثار احدهما في الاخر فلئن ذكره الاطباء
 فانما ذلك لانه مقصود في علمهم بالذات والنفس تبع

فاما علماء الاخلاق فانهم يبحثون عنه كمركب للنفس
وسفينتها السائرة في بحر الحياة اللجى . ودابنها التي تركبها
فالجسم فرس . والنفس راكبها والسعادة قنبتها ولا قنينة
لن كانت فرسه . كما لا سعادة ولا اخلاق لمن ضعف جسمه
الا من رحم ربك . ولقد اودع الله في فطرة الانسان من
الفرائز والمشاعر والادراكات واحاطه بالمنذرات للتهلكة ما
ان عمل به وسار في سبيله بنظام هدى الى طريق رشاده .
الا ترى الى الحر والقر والجوع والعطش وما جبل عليه
الاطفال من حب اللب وتثبيط الاعضاء بالحركة ومصادمة
الاجسام ومقارعة الابطال ان كل ذلك الا مرشد للعاطلين
كم من امرئ جهل امره واستسهل الامر اليسير من شأنه
كاللحمه يزدردها بلا كثير مضغ والحجرة يسكنها رديئة
الهواء او ضئيلة النور والبيت بقطنه تحيط به الريح الكريهة
فاحاطت به خطوب الزمان ومزعجات الامراض او لم يعلم
ما للاسنان من الحكمة وما لآلام الحر والبرد من الانذار
والاعلام الا ان الغفلة عن الصغائر في امور الاجسام تجر

الى الكثر في امر النفوس والعقول فكم يحدث فساد الصحة
من تغير في طباع المرء كسرعة الغضب والتهيج المزمن
ويقعد به عن تادية الواجبات الاجتماعية

المرض اذا حل بالجسم فزال ابقى له اثرًا خالدًا فيه
حتى يحين اجله ويذهب عمره

لا بد من ارادة قوية يصد بها الشهوات البهيمية وعزم
صارم يكبح به تلك الضاربات الهائجة حتى لا نشترى الذي
هو ادنى من اللذات الخسيسة بالذي هو اعلى من الصحة
وسعادة الحياه والفرح بالاخون وبهجة الجمعية القومية ونعيم
العباد في البلاد

فاعتدل في مأكلك ومشربك وملبسك ومسكنك
ونومك ويطمئنتك واجعل لكل وقتًا خاصًا به، ونظم اوقات
كلك كما نظم الافلاك في سيرها والنجوم في جريها والشمس
في ابراجها وقلل من الشرب وحرمه بعد انقضاء الاكل حتى
يضم الطعام واجعل لك وقتًا للرياضة الجسمية كالشي والاعمال
الزراعية او الصناعية في اوقات عطلتك ليكون أجمل نشاطًا

لعقلك واتم قوة لجسمك وكالحركات الرياضية في المدرسة
 فلمحرك انها تحرك من نشاطك وانها تفتح لك شهوة الطعام
 الا ان المستبصر الحاذق من سار على منهج قانون الصحة
 فقل مرضه فذلك خير من يهل الجسم فيبغم في قبضة
 المرض فبضطره لتعاطي الدواء فالخير كل الخير في تدبير
 الطعام والشراب في الصحة

وقد اثنى الله على بعض عباده الاصحاء العلماء فقال (وزاده
 بسطة في العلم والجسم والله يوفى ملكه من يشاء)

❖ قوى الانسان الثمات الشهوية والغضبية والفكرية ❖

لقد بان لك ما يجب من امر العناية بامر الروح والجسم
 وامتزاجهما وعلاقة كل بالآخر في الفصل السابق ولكننا لم
 نتجاوز فيه الاجمال في البيان ولم نتعد الدائرة المحدودة والبراهين
 المنظومة لكل منهما بالايجاز لقد عقدنا هذا الفصل لتبيان
 قوى الانسان الثلاث لتستبين السبيل ويتميز الرشد في الاعمال
 الانسانية من الغي في الضلالة الحيوانية فنقول

(١) انت تعلم ان الانسان يتنفس بالهواء الداخل في
 رئتيه الخارج منها كما يتنفس النبات باوراقه والحيوان
 برئتيه او خيشومه وغيرهما وهو يتغذى بانواع النبات ولحوم
 الحيوان والماء كما يتغذى الحيوان بها والنبات بالعناصر
 الارضية وهو ينمو كما ينمو ان ويكبر كما يكبر ان وتنظم
 اعضاؤه وحواسه بتناسب وانقائ كما يتنظمان ويلد ويموت
 كما يلد ان ذلك كله وما شاكله من خواص القوة الشهوية
 لذلك جبل الله عز وجل الانسان والحيوان على حب
 الحياة وحفظ الاجسام لنصل الى غايتها ونقوم باعمالها التي
 خلقت لها جامدة ابدآ ان تستزيد وتستكثر من الاغذية
 التي تحفظ جثمانها وتدخل فيها بدل ما حللته الحرارة الفريزية
 والحركة الحيوانية ليبقى قوامها الى حين فطنى بعضها على بعض
 في التغلب على الاقوات الصالحة المشتركة فادع فيها قوة
 بها تدفع الصائل وتكبح جماح المعتدي على الاقوات والاجسام
 وانبت لها القرون الصلبة والانياب الحادة والمخالب الجارحة
 في حيوان ومهد السبيل لصهر الحرير والرصاص وغيرها

لصنع السيف والرمح والمدافع والاساطيل الهوائية والبرية
والبحرية للانسان

(٢) وتلك هي القوة القلبية وهي اتم ظهوراً في السباع

والوحوش .

(٣) ولما كانت القوتان في الحيوان والانسان تتجاوزان

الحد في خصائصهما لو تركتا وشأنهما اودع الله في الحيوان

غرائز تحفظ نظامهما فيه كما قل تعالى (قال ربنا الذي

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال (وما من دابة في

الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا اممٌ امثالكم) ، قال ولذي

قدر فهمدى) وتلك الفريزة توقف كل واحدة على العمل

الذي جبلت ان توفيه وخص الانسان بقوة يكبح بها زمام

الشهوات الهاثجة ويطفي نيران الغضب المتأججة ليستقيم امره

الى اجل مسمى كما قال تعالى (واما من خاف مقام ربه

ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وتلك هي

القوة الفكرية .

❖ نتيجة ❖

(٤) نتج مما قدمنا لك ان للانسان قوات ثلاث الشهوية والفضيية والفكرية وكل واحدة افضل مما قبلها وأخس مما بعدها الا ترى ان الفضية لها السيطرة والتصر على الشهوية والفكرية تحكم الاولين وتوقفهما عند حدهما خلاها الرأي الاعلى والفضل المبين

❖ منشأ الاغصان ❖

(٥) هذه القوى منشأ سائر الاخلاق الحسنة والشريرة والوضيعة والرفيعة والمفضولة والفاضلة فمن اعتدل فيهن فهو من الاخيار ومن جاوز الحد ، طغى فهو من الاشرار لذلك ارسل الله الانبياء ، واهم الحكماء وعلم العلماء والف الموعظون وفصل الكتاب المنشئون وسيرد عليك ان شاء الله من ذلك في هذا الكتاب ما تقر به عينك ويحتاج صدرك مع الفارئين .

(٦) « ايضاح باربعة امثلة »

اني اشعر ان صورة البيان في هذا المقام غير جلية

فلنقرن الامثال عسى ان يتضح النهج وتبين السبيل

✽ تمثيل الانسان بصائد وفرسه وكلبه ✽

(٢) ان مثل الانسان في هذه الحياة كمثل فارس وفرسه وكلب صيده فالفرس مثال القوة الشهوية والكلب مثل القوة الغضبية والفارس مثل الفؤاد الفكرية والقيصة هي السعادة في الدنيا والاخرة الا لا قنيصة لمن جمحت فرسه فلم يكبح جماحها ولا لمن لم يعلم كلبه اداب الصيد في الفلوات واقتناص الحيوان في الغابات فان لم يروض كلبه على الاقدام والاجرام في اوقاتها ولم يسس فرسه في سيرها يرجع من صيده بخفي حنين هكذا شأن الانسان في الحياة

✽ تمثيل الانسان بقصر ✽

(٢) تصور قصر امبذاله ثلاث طبقات طبقة سفلى وفيها العملة والفلاحون والصناع والطحانون والحيازون وسائر العاملين وطبقة وسطى فيها الجند المدربون والمقسمون العادلون الذين يتلقون ما وصل لهم من اعمال الطبقة السفلى ويقسمونه بقدر معلوم وعمل منظوم على سائر سكان

القصر الاعابن والاسفلين وطبقة عليا فيها الملك والوزراء
والكتاب والمترجمون وارباب الدولة ولهم القول الفصل
وال مقام الاعلى والكلمة النافذة والسطوة التامة على القصر ومن
فيه ذلك مثل الانسان فالسفلى المعدة والامعاء والكبد فهن
مقر الشهوة لطبخ الغذاء وانضاج الطعام والوسطى هي الصدر
وفيه القلب الموزع الدم بنظام على الاعضاء وكل له مقام
معلوم وعند الغضب يفتى الدم وتحمز الاعين ويبيح الانسان
والعليا مثل الرأس والعقل وقوة الحواس الخمس واللسان
وهو الترجمان فانظر كيف ترتبت القوى الثلاث ترتيباً
طبيعياً في جسمك فويل لمن عاش ومات وهو بها جهول
وويل لمن حرم العلم بها ودس نفسه بين الجهال الغافلين الا
وان ذلك هو الفارق بينك وبين الحيوان

ففر بعلم ولا تطالب به بدلاً الناس موتى واهل العلم احياء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

✽ تمثيل الانسان بحكومة نظامية ✽

(٣) ان الحكومات النظامية لا مناص لها من دواوين

لهندسة الطرق ونظام ارواء الارض وللزراعة وقوانين للتجارة
ولخزائن المال . ان هذه تقابل القوة الشهوية في الانسان
فهذه لجلب الطعام وتلك لغذاء الاجسام ولا سبيل لحفظ
الاموال المجموعة وطوائف الناس المتعاونة والمزارع المروية
والادوات المصنوعة الا بالشرطة والجنود والقضاة العادلون
والعساكر المدربة والأسلحة النارية ذلك في الممالك النظامية
يقابل الغضب في الاجسام الانسانية

فاما الملوك والامراء والنواب والوزراء فانهم يضاهون
القوة العقلية ولواحدة من قوى الانسان

✽ تمثيل قوى الانسان بـ النيل وسدوده ✽

(٤) لقد شاهدت نهر النيل ومجراه يبتدىء من جبال القمر
وينتهى الى البحر الرومي ولولا ان الحواجز تصده والسدود
تمنعه والقناطر تحفظه ما ادى للناس عملاً الا قليلاً ولا
منع بلادنا زرعاً الا الاعشاب والاثلاث وشوك القتاد
النيل مثل القوة الشهوية والحواجز الصناعية مثل القوة
العقلية والمهندسون مثل القوة العقلية وما ترى في البلاد

من المزارع النضرات والاعشاب الحضرات والمروج الواسعات
وجنات النخيل ولاعناب والرمات والحب ذى المصف
والريحان يقابل الفضائل الانسانية اذ افهرنا الشهوات ونظمنا
الحركات ووزنا الرغبات بموازن العقول بحيث نردع النفس
اذ اطمحت لازدياد الطعام او التماذى فى الخصام او التهاون
عند الامور والعظام والاحجام او التكوص على الاعقاب فى
الامور الجسام او جنحت لافتراف الاثام

✽ لطيفة ✽

بينما انا اكتب هذا اذ مرت امامي امرأة يتبعها كلب
يحمل في فمه متاعاً كبيراً في مرة فاردت ان اصريها مثلاً
للقوة العاقلة الانسانية اذا ادبت القوة الغضبية فامنت غوائلها
ونأت خيرها الا انما مثل الشهوات مثل النار تنضج الطعام
بجاراتها وتضيء السبل بضوئها وتأمين تدميرها المنازل واحراقها
البلاد بالصناعات الانسانية والتدبير بالعقول والاعمال المدنية
(حكم هذه القوى وضرر التفريط والافراط وعجائب
التدبير الالهى فيها والايات الشاهدة على ذلك).

الا ليعجب من تدبير نفسك واحكام جسمك وبديع
 نظمك انظر كيف جعلت هذا القرائز فينا لحياتنا وابقائنا
 غريزة حب الطعام والشراب لحياة اجسامنا وقوة الغضب
 لحفظها والعقل منظم ومدير وموئدب فالشهوة والغضب
 ركبنا فينا لحياتنا وحفظنا اذ اخضعنا للعقول وسارتنا على
 فامورها الموسوم فايك ان تطاق العنان لفرس الشهوة واياك
 ثم اياك ان تذر اسد غضبك يسطو بلا مشورة العقل ، الا
 كان مثلها في ذلك مثل ماء النيل فيما مر اذا جرى بالاسد
 يسكه ولا عيرم يحفظه فنبت في ارض جسمك شوك
 الاخلاق وقتاد الفساد بدل جنات العلم وروضات الفضائل
 ونجنى من الثمر من شجران الاخلاق الرديئة بدل ثمرات
 السعادة نمجنيها من شجرات الاخلاق الفاضلة والاعمال الجيلة
 العالية

فمن شره في الطعام او تمادي في الخصام او قاتل
 الاعداء بلا روية قيل ان ذلك منه افراط واما من جمدت
 قريحته وبردت طبيعته وسكنت شهوته وقلت حميته بحيث

لَا يَتَعَاطَىٰ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَفْغِيهِ وَلَا يَبَالِي بِاتِّهَاقِ عَرْضِهِ
وَضِيَاعِ نَجْدِهِ وَذَهَابِ شَرْفِهِ وَعِزِّ بِلَادِهِ فَذَلِكَ مِنْهُ تَفْرِيطٌ
وَكُلٌّ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْإِفْرَاطِ مَذْمُومٌ وَلِطَرَفَانِ مَذْمُومَانِ
(حُبُّ التَّنَاهِي شَطَطٌ خَيْرُ الْأُمُورِ الْوَسْطُ)

وَكَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْمَاءَ وَالنَّارَ لِحَيَاتِنَا وَاصْلَاحِ شَوْءِنَا وَبِهِمَا
هَلَاكُنَا إِذَا قِينَا بِنَفْسِنَا فِيهِمَا هَكَذَا كَانَتْ هَذِهِ الشَّهَوَاتُ
مَقْصُودَةً مِنَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْلطِيفِ لِحَيَاتِنَا وَبِقَاتِنَا ، فَإِذَا
انْفَعَمْنَا فِيهَا أَهْلَكْتُنَا هَلَاكًا أَبَدِيًّا وَأَوْرَثْتُنَا الْخُسَارَ فِي
الدَّارَيْنِ ، وَلَمَّا كَانَ الْمَاءُ وَالنَّارُ حَسِيرَيْنِ كَانَ الْوُقُوعُ فِيهِمَا
مُوجِبًا لِلْهَلَاكِ الْأَجْسَامِ

وَالْقَوَاتِ الشَّهْرِيَّةِ وَالغَضْبِيَّةِ مَعْنُوبَتَانِ ، فَلَا تَتَمَسَّرُ فِيهِمَا
وَالدُّخُولُ فِي غَمَرِهِمَا يَوْرَثَانِ الْمَلَكَ الْمَعْنَوِي وَالْمَوْتَ الْأَبَدِيَّ
جِزَاءً وَفَاءً صِدْقًا وَعَدْلًا مِنَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَاللَّادِلِ
يُشِيرُ قَوْلُهُ تَعَالَى (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) مِنْ
النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْتِ وَأَشَارَ لِكَبْحِ جَمَاحِ النَّفْسِ بِقَوْلِهِ

فيها (ذلك متاع الحياة الدنيا والله 'عنده' حسن
 للمآب) . وأكد ذلك بدم المنعمين في الشهوات بقوله
 (وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم) وبقوله
 (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وبها هم الامل 'فسوف يعلمون')
 وبقوله (أن الانسان ايطاغى ، أن رآه استغنى) وأشار الى
 الوسط بقوله (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
 بين ذلك قواماً)

« بيان ان لكل شيء كمالاً ، وكماله فيما هو خاص
 به دون سواه ، وان شرف الانسان وسعادته فيما
 مناز به من القوة الفكرية ، تبين مما مر ان لكل واحد
 من العوالم العلوية والسفلية خاصة ، لا يشاركه فيها سواه ،
 وبها شرفه ، وعليها يدور محور نوره وفضله ، وان لم يصل
 لكماله ونقص عن درجة تمامه ، تنزل الى الدرجة الدنيا ،
 وانحط الى الدرجات السفلى ، الا ترى ان الحصان اذا
 لم يحسن الكرّ والفرّ والاقبال والادبار ، تنزل من درجة
 بهصافات الجياد ، الى رتبة الحمير ، فاستحق الأكاف وحمل

السباد، وكذا النخلة المثمرة اذا ما اقل نجم سعادها وادبرت
ايام اثمارها ، تدات الى رتبة الاعشاب وتنزات الى درجة
الاعواد ، فاصبحت للنار وقسوداً ، وللزراع سماداً ذلك لان
فضلاها في الأزهار وكاملها في الاثمار ، وهكذا كل شيء
له خاصة لا شرف له الا بها

اذا فهمت هاتين المقدمتين فانظر هذا الانسان البست
القوة الشهوية عامة فيه وفي الحيوان والنبات والقوة الفضية
واضحة جليلة فيه وفي السباع والاساد فهما لا يخصانه فليس بهما
شرفه كما لا شرف للنخلة بالوقود ولا للحصان في الاكاف
وحمل السباد لما شاركهما في الحصلتين الصفاة والحمار كما
شارك الانسان في الشهوة والغضب الحيوان فتخرج ان شرف
الانسان في كماله وهو ما يمتاز به عن سائر العوالم من
التمييز والفكر والمنطق والنظر

فويل لمن بطلت شهوته والويل والثبور ان احاطت به خطيئته
بالمقل والتمييز والروية سعادة الانسان وشرفه وفضله
وله ضرب الله المثل فقال (الله نور السموات والارض

مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
 كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية
 ولا غربية تكاد تضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي
 الله بنوره من يشاء، ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم
 * نتائج اقوى الثلاث الفكرية والفصلية *

والشهووية ومضارها بالزيادة والنقصان

ومنافعها بوزنها بالميزان

قد علمت بما سلف ان الله عز وجل لم يذراً فينا غريزة
 ولم يفطرنا على وجدان الا لحكمة صادقة فينا ومنفعة توتينا
 فالشهوة الحيوانية والغضب السبعي والملك الانساني اودعها
 الله فينا للخير والمنفعة والحياة والسعادة في الدنيا والاخرة وما
 الشرور الناتج عنهن او احداهن الا الليل عن الجادة والزيم
 عن الصراط المستقيم والتكبر عن سواء السبيل كما قال
 تعالى (ووزع الميزان الا تظفروا في الميزان واقبوا الوزن
 بالهبط ولا تخسروا الميزان) يقول انه اسس العالم واحكم
 النظام واقام العدل على اساس متين وقانون مسنون وحمد

محدود لتُسَوِّسوا اعمالكم وتزنوا اقوالكم على سنن اعماله وقانون نظامه فلا تطفوا في زنها فتتجاوزوا حدودها ولا تفرطوا فيها وتنقصوها فتضلوا عن السبيل وتحسبون انكم مهتدون ولقد علمت مما مر في المثل السابقة كيف كان العمال في اسفل طبقات الاجسام ومما فيها المعدة والكبد ونظام توزيع الاغذية الدموية على الاعضاء الجسمية في الطبقة الوسطى وبها القلب ثم كيف كانت القوة الفكرية في الطبقة العليا ومن هذا نفهم قول القدماء مسكن القوة الغذبة الكبد ومحل الحيوانية السبعية القلب ومكان الفكرية الدماغ

✽ نظام عجيب وترتيب غريب ✽

نظمت القوى الثلاث في اجسامنا ورتبت ترتيباً حسناً جليلاً لنسائط العقل على الشهوتين لرفعة مكانه وشرف مكانته على الاثنين وتخضع الشهوة للغضب حتى لا تقع في العطب ✽ اعتدال القوة الشهوية وخروجها عن الاعتدال ✽

فمن ذا الذي توغل في طعمه وخرج عن اعتدال شهوته الى الاستكثار والافراط الاحقت عليه كلفه واحاطت به

حمسته فوصم بالحرص على الاموال والانكباب على الشهوات
فامسكها فسمى «بمخبلًا» وولم يافكان «حريصًا» وشرها «وخائنًا»
وانفوس في المحرمات فسمى «فاجرًا» وقد يطلق العنان للسان
ولا يكبحه عن المقال فسمى ذا «مجون» وقد بغشى السر للحرص
على الشهوة وقد يستغنه الجهل فيوحى اليه انه احق
بالاختصاص وأولى بالانعم بلذتها ولا حق فيها لسواه فلا
يشاركه احد من خلق الله فاذا انعم الله على عبده نعمة
سأته وان مسه الشر ونزل به الضم شمت باخيه وفرح
بالشر الذي يرد به فساد مثلاً الجاهل الشامت فاما اذا اقصر
في شهوته واماتها مجهالته فاقبل الطعام والشراب حتى اعياء
الكلال وسامت منه الحال فضعف عن الاعمال وباء بالوبال
فذلك بالوم في تفریطه كالذي قبله في افراطه

لقد تغالى البراهمة والبوذيون من اهل الصين والمند في
تهذيب النفوس حتى عمدوا الى الاجسام فاضعفوها والى
الشهوات فامانوها وافرط للمحدون في الشهوات وقالوا ان هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وكلاما في

عمله مذموم

اما نحن فاننا مأمورون بالتوسط في سائر احوالنا كما
عليه اكابر الحكماء واوصى به القرآن فقال تعالى (يا بني ادم
خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه
لا يحب المسرفين ذلك لانهم يأكلون كما تأكل الانعام فلا
يحفلون بالجمعية الانسانية ولا الاخوان في الوطنية والدينية
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون

وما اولئك المقامرون الذين تخربت بيوتهم والحائثون
الذين فحمت سيرتهم والظالمون الذين تداعى مجدهم الا من
نفوسهم الشهوية وافراطهم في الغريزة النبانية

فنش بعقلك في بلادك وانظر بشاغب فكرك في امنك
المصرية وما دهمها من ذهاب ثروتها المالية اليس ذلك الا
كان بعض التربية المنزلية والجهل المزرى بالاحوال الانسانية
رحمك اللهم فقد حاد ابناء بلادنا عن صراطك المستقيم
في قوتهم الشهوية فرهن عقارهم وضاعت املاكهم وباءوا
بالخزي المبين

ولو انهم علموا ان الافراط في الشهوات ليس من
السعادة في شيء، وان التوسط والاعتدال سعادة وخير وابقى
ما ارتططنا في احوالنا ولا وقعنا في شر اعمالنا ولو سالتهم
ماذا على ذلك حملم لقالوا مناظرة الاقران ومجاملة الاخوان
ومرضاة النوان وليقال فلان وفلان

اللهم ما اهلك الناس الا الناس اوائك الذين ليس لهم
الا الحزى في الحياة الدنيا بضياح ثروتهم واعذاب الآخرة
اخزى وهم لا ينصرون

مقصود الشهوة بقاء الاحسام وبثت المدات فما وراءها
الا السقام وذهاب البلاد

الشهوة نار من دخلها احترق ومن استخدمها في الطمع
والاسخاخ كان حقيقاً بالمنفعة

ومن اعتدل في الشهوات الطبيعية وضبط نفسه عن
الشهوات القبيحة وتجاوز لاراف ثم رضى بما سهل وحوده
وترك «الحرص» على الفائت فاتسم بالقناعة وامسك لسانه عن
اذاعه الاسرار فوصف «بكتمان» السر وتباعد عما يوجب التهمة

في ارتكاب الفواحش فوسم «بالنزاهة» وبذل المال بغير سوءال
 لاستحقاقه بلا تبذير فكان «ذا سخاء» فيحفظ نفسه ويمنع جوارحه
 عن اتيان القبيح حذراً من اللوم وخوفاً من العتاب فيسمى
 «ذا حياء» فاذا ساورته الشهوة وغالبته الطبيعة فقهرها مسمى
 ورعاً وصابراً ولسكون نفسه عند حركة الشهوات يسمى ذا
 دعة فان كمل نفسه بالزينة الحسنة فذلك «حسن السمات» واذا
 تحفظ من قبيح المزمل قولاً وفعللاً وبعد عن الدناءة مسمى ذا
 «صيانة» فان سكنت نفسه وثبتت عن الحركة الزائدة سمي
 «وقوراً» فاذا كسب المال من وجهه ومال الى محاسن الامور
 سمي «حرّاً» فان مال الى حسن تقدير الامور سمي ذا «انتظام»

✽ تطبيق على القوة الشهوية ✽

وهي خمس نصائح وحكاية

(١) ايها الطالب ادر نظرك فيما حولك وحوّل

«١» نتيجة هذا الباب : - ان الاعتدال ينتج ١٢ خلقاً وهي :-

القناعة . كتمان السر . النزاهة . السخاء . الحياء . الورع . الدعة والصبر
 حسن السمات . الصيانة . الوقار . الحرية . الانتظام

وجهمك تلقاء امثك المصريه وقل لم ما هذا الهمار وما ذلك
العار اللاحق بالبلاد والحسار الضارب اطنابه على العباد
ما لكم تنفقون ما لا تحتاجون، وتقرمون ما لا تطبقون، حتى
اضمت التالذ وابدتم الطارف، وسلبتم مجدكم واجتم ارضكم
يقول الله (و ياكلون كما تاكل الانعام والنار مشوى لهم)

او ما علمتم ان شهوة الطعام عامة بيننا وبين الانعام
ولقد عاش بها النبات قبل الحيوان وتمتع بها الهر والخنزير
قبل الانسان، كما قال (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من
السماء فاخذنا ط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وزينت وظن اهلها انهم قادرون
عليها اتاها امرنا ليلاً او نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن
بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)

(٢) واثن سألتم مالكم تغايتم في المطاعم وتكاثرتم في
الموائد واستجبتم الوان الطعام واستكثرتموها وتماديتم في تلك
الشهوات وخدمتموها ليقولن انما ذلك ثمرة الغنى الوفير والمال
الكثير واذا لم تملأ الصحن حتى تمد البطون فما الفائدة في المال

وأي عائدة من سعة الحال؟

الا انما ذلك مضرة للابدان وضياح للال فهلا سلكتكم
اشرف الطرق واتخذتم اقرب الوسائل الى العزة القعساء والهمة
العلياء . ببذل ما فضل عن حاجتكم في سعادة بلادكم ونفخ
امتكم ببناء المدارس وتشديد الكليات وتعميم التعليم!

(٣) قل لم ما لكم تقامرون وتشربون الخمر وذكركم
بما قاله (هنرى) الفرنساوى المولى لكاتب خواطر وسوانح
في الاسلام ان السلاح الوحيد الذى اتخذه اناس لابطاد الجنس
الشرقي انما هو الخمر!

وقد قررا الاطباء ان خصلتين يرثهما الابناء عن الابهاء
وبقيان صفة راسخة في الاجيال والاعقاب ان اخنفت في
جيل ظهرت في جيل اخر وان اخطأت ابا لم تذر بنيه الا
انما هما ادمان الخمر والداء الافرنجى الناجم من الفجور فاذا
فشا احدهما في امة اضعف الذرية وأباد البقية

ايها الطالب قل لم لم تقامرون حتى اضعتم الدار وبيتكم
العقار وسكنتم بالايحار!

(٤) ايها الطالب قل لم ما هذا التفاني في الملابس
والتنافس في الخبر والبراقع والقلائس وما هذا الترف بالدمعس
بالحرير ، الانسان مهما بالغ في الترفيش والتزيين لا يبلغ
شأو الطاووس في جماله

قل لهم مالي اراكم اثاقلتم الى الارض . ورضيتم بالحياة
الحيوانية ولم تفهموا معني الانسانية . ان للانسانية لذة يجعلها
الاغنياء ، وسعادة لا يعرفها الا من ذاقها من الازكياء

وكيف استبتم بعضكم بعضاً في صرف الاموال على
البغايا والدنايا . او ما علمتم ان ذلك هلاك الابد وضياع البلد .
الا ان اسراف الاغنياء والامراء وجور ذوي النفوذ
والجاء ممن تولوا امر العباد يدعو الى تقليد العامة والفوغاء ،
وعمد البلاد والدهماء فتندهور الامة الى اسفل سافلين ونصير
طعمة الاكلين قال تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)

(٥) ايها الطالب قل لهم لا تنغالوا في المهور ولا
تضيعوا الاموال في الولائم ، الا اذا راجت صناعتكم وحفظ

في بلادكم درهمكم

(انما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الاموال والاولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد)

فسيقولون انما اردنا بحمدنا المنتظر ونفخها العظيم قل لهم هلا بنيتم المجد على أساس؟ او تباعدتم عن هذا الوسواس؟ هلا شيدتم معاهد العلوم فشكر الله والناس معيكم واشادوا في الخافقين ذكركم ، هذه فكرة العامة والنسوان ، وصغار الاطفال ، يزينها الجهال ، ثم تخبو نارها وينطفيء نورها كشمعة نار تشتعل ، فتغيب عن الابصار (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فان الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ ان الله عليم بما يصنعون) كمال الانسان وسعادته في ذات نفسه ، وفي خلقه ، وعلمه ، وعمله ، وما عداه فاعمال الاطفال وصغار الرجال

﴿ مطبوعة ﴾

حكى ان شاباً ركب حصاناً واختال بزهره واعجب
 بفرسه وتكبر على الاقران واتباهى به على الاخوان فقابله
 حكيم فقال له يا هذا كمال كل شيء فيما به اختصاصه
 لا يشاركه سواء واثن كان الكمال في الحصان فالتفت راجع
 اليه والثناء وارد عليه فاما انت فانك خلي من الكمال مبرأ
 من المدح والثناء .

اتمدح على شرف سواك وتوصف بما به سمد الحصان
 وامتاز به على الاقران فلكل شيء شرف وشرف الانسان
 عقله ونضله المبين

قل للتعلمين ما بالكم منغمسين في الحيوانية ضارين
 الذكر صفحاً عن كمال النفس الانسانية ، انطلقتم الى القرب
 وما آب بفضلكم الا باحقر الاخلاق ، وادنى الرذائل ، هلا
 نهجتم منهج عظمائهم ، وسلكتم سبيل حكماهم ، فالويل للبلاد
 ان لم تصونوا شهواتكم ، والعذاب واقع ، ماله دافع ، ان

أصررت على العناد ولم تسلكوا سبيل السداد

فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم (ومن
أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي
القوم الظالمين)

فارتقبهم واصطبر ، وانذرهم يوم تقع الوقائع ، وتترك
الديار بلاقم ، ويدم البلاد من ذري الأموال كل مقتال طامع
ويقال لهم على سبيل التمثيل (اليوم تجزون عذاب
المون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)
﴿ لطيفة ﴾

سألت رجلاً من اذكىاء الفلاحين رأيه في المصريين
وأبي الجيلين خير أرائك الآباء الجهلاء الذين هم باب
الأموال أم الأبناء المعلمون فقال

نحن أكثر اقتصاداً ، وهم أقوى اتحاداً ، قد حفظنا الأموال
وضيعوها ، وأوانهم جمعوا الخصلتين ، أنالوا الحسينين ، وكنهم
ذهب شرم بنجرهم وتقصرهم بفضلهم ، وأي أمة تقوم بلا
مال ، وأي شجاع يقدم على القتال بلا سلاح

ولا مال للفاسق المخمور ، والامة التي ذهب مالها ضاع
رشدها فويل للمتعلمين المبذرين الذين كانوا في الفجور
منغمسين ، يوم يسحبون في نار الحزى على وجوههم ويقال
تبكيتا لهم

ذوقوا مسَّ عذاب الحزى في هذه الحياة الدنيا والاذلال
ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون (١)

✽ فضائل القوة النفسية وزدائرها ✽

• مسائل الباب •

١٥ • عموم الشهوات في نوع النبات والحيوان ٢٥ • النفسية خاصة
بالحيوان ٣٥ • وجودها في الانسان ٤٥ • تمثيل بالقدر

لقد فرغنا من الكلام على قوتنا الشهوية وها نحن الان
نفصل ما اجمل في القوة النفسية بعض التفصيل واليك بيانه

(١) علمت مما اسلفت لك ان قوة الشهوة مما به الغذاء

١٥ • مختصر هذا التطبيق هو : احتقار الشهوات • الرجوع الى مجد
الامة • القمار • خمر • الزنا • البدن • التغالي في الملابس • الولاثم •
حكاية • لطيفة

والنمو والتوالد عامة في البشر والحيوان والنبات ، ولو سألت
الدود في بطن الحيوان والصمو « المكروب » في البعوض
والفواقع والاصداف في البحار لقلت هل من مزيد لشهواتنا
ولذة حياتنا

(٢) فلذا تعاليت عن تلك الانواع ، وترقيت الى النمو
والسباع ، الفيت هولا مهولا ، وقدرة وحولا ، وغضبا وصولا
رأيت الاسود الكاسره ، والسباع الضاربة ، والبواشق المنشبة
المخالب ، المهددة الاظفار ، المهيبة الانظار ، ولعمرك ما ذلك
الاثار القوة النفسية في العوالم السبعية

(٣) واذا ترقيت الى الانسان وشاهدت المدافع
والميوف ، والرماح في الصفوف ، والاساطيل البحرية والجيوش
البرية والسفن الحربية . والنيران المتأججة ، واحتدام
وطيس الحروب وتخيم الثوب السود ، فاعلم ان ذلك آثار
القوة النفسية . الانسان في الغضب شريك الاساد والسباع
وما حبينا في العلو والسودد ولا رغبتنا في الملك والعظمة ،
ولا تشوقنا للرياسة وتعالينا في السياسة ، ولا نمجسنا المشاق

وانتقمنا الصواب ، الا لما فينا من تلك القوة الاسدية .
 (٤) أدخل حديقة الحيوان بالجيزة ، واقرأ القوة
 الشهوية في حيواناتها وطيرها ، والقوة الفضية في نمورها
 وسباعها ، هناك تجشمت قوتا الانسان وظهرتا للعيان ،
 فهل بعد هذا يان .

(٥) املك خامرك الرب من جهة التمثيل ، وظننت
 ان القوة الفضية شرّ مستطيل وضرر ويل ، لما قارنا بها
 أنفسنا بالوحوش الكاسرة ، والسباع الضارية ، ولكن لتعلم
 أن هذه القوة خلقت فينا لرحمتنا ، واودعت لاصلاحنا متى
 وجهت الى الغاية الشريفة وسيقت الى الاعمال العالية المنفعة
 وذلك أنها اذا اعتدلت فصاحبها بالشجاعة موصوف ،
 وبالفروسية وقوة القلب معروف ، واذا خرجت عن الاعتدال
 فاما الى زيادة ضاره ، فصاحبها يوصف بالتهور ، وكثرة
 الغضب ، أو الى نقص شائن فصاحبها يوصف بالجبن
 وضعف النفس .

﴿ تمثيل القوة الشهوية مع القوة النضوية ﴾

(٦) املاً قدرأ بالماء ، وضعها على النار ، وراقبها
أليس الماء يغلي ؟ ما دامت النار معتدلة ، فان تجاوزت
النار الحد اضطرب أمر القدر ، واختل نظام العمل ، وان
ضعفت وشارفت الخمود ضعفت حركة الغليان ولم تصل
لمقصودك ولم تل من الماء مرغوبك .

هكذا قوة الغضب فينا ، فالنار تمثيل قوة الغضب ،
والماء تمثيل قوة الشهوة ، واضطراب القدر تمثيل قوة التهور ،
والشتم والتهيج العظيم ، وبطء حركة الغليان ، تمثيل قوة الجبن
وخور العزيمة ، واعتدال النار وغليان القدر بنظام ، تمثيل
لحال قوتنا النضوية واتصافنا بالشجاعة والحلم والشهامة وما
شاكلها .

﴿ تفصيل ردائل القوة النضوية ﴾

« مسائل الباب »

« الافراط » طيش . حقد . تهور . فح . حسد . شراسة
عجب . فسادة . الكبر « التفريط » صفرالهمة . جبن . عبوس

ضع تمثيل القدر على النار للقوة الغضبية نصب عينيك
وانظر الآلات البخارية من رافعة للماء وجارية للسفر وحاملة
اللامتعة وعائمة في البحر . اليس قدورها اذا طفت نيرانها ،
وتأجج سعيرها حطمت من فيها وأغرقت واهلكت راكبيها
وان خمد لها وقلت نارها عن الحد المطلوب والدرج المعلوم
فعدت بالرايين عن السير فقاتهم المرغوب ونأت بهم عن
درك المحبوب .

من ذهل من أدنى ضر فهو ذو طيش ، ومن أضمر
الشر وهو لم يتمكن من الانتقام واخفاء الحين الفرص فهو ذو
حقد ، فان اقدم على ما لا ينبغي من الامور فهو ذو تهور ،
وان جاهر بالكلام الغليظ واحتقر الغير في عينه فهو ذو
قذرة ، وان كره ما انعم الله به على عباده من الخير وتمنى افساد حالهم
فهو ذو حسد ، وان كان لا ينقاد الى جميل القول ولا يفارقه
القبیح فهو ذو شراسة الخلق ، وان كان يرى ان كل شيء
في غيره دون محاسنه ، ولا يملو على مناقبه ، فذلك ذو عجب
وان تنهون في المصائب وما يصيب الناس من الترائب فهو

ذو قسوة وان ضعفت نفسه عن طلب المراتب وقصر امله
عن نيل المطالب والمعالي فهو الموصوف بصغر الهمة وان
جزع عند المخاوف وأحجم عند ادنى فزع فهو ذو جبن وان
قطب وجهه عند اللقاء وأظهر الكراهة وقل تبسمه فهو ذو
المبوس وان استحسن فعله واستعظم نفسه واستصغر سواه
فهو ذو الكبر. فانت ترى ان مثل ضعف النفس والجزع عند
المخاوف أشبه شيء بخمود نار القدر وبطء حركة القليان
وان مثل الكبر وشراسة الخلق أشبه شيء بتأجج نارها
واضطراب القدر على النار .

﴿ فضائل القوة الفضية ﴾

« الفضائل »

التوسط . الشجاعة . الحلم . العفو . الرحمة . البشر . حسن
الخلق . عظم الهمة . الاتقة . الحمية . الفيرة . الثبوت . تواضع
كرم النفس . نجدة . شهامة . تحمل الكد
ومن تهاون بالالام وتحمل المشاق عند الافدام فهو
ذو الشجاعة . ومن يترك الانتقام مع القدرة ويجازى الاماءة

بالاحسان فهو ذو الحلم والصفو ومن جزع بالم يصيب المعطوب
واحس بود لذلك المنكوب فهو ذو الرحمة . ومن وضع على
قدره المعنوية الغطاء وأظهر البشر لمن يلقاه واقبل على محادثته
فهو ذو بشر . ومن اتى الناس بما يسرهم من بشر وقول حسن
وصنع معروف ومواساة فهو حسن الخلق الا انها خلة المرسلين
والانبياء والصالحين . ومن استصغر ما دون النهاية من
معالي الامور فهو عظيم الهمة . وهو اما ذوائفة وذلك بان
تنبو نفسه عن الامور الدنيئة ، واما ذو حمية ، فينضب عند
الاحساس بالنقص ، واما ذو غيرة وهي اظهار الغضب
عما يخشى عاره ، ومن احتمل الآلام ولم يجزع للمصائب
فهو ذو ثبوت ، ومن ترك المباهاة والعجب ، فهو ذو
التواضع ، ومن اقتدر على حمل الكرامة فهو كريم النفس
ومن وثق بنفسه عند اقتمام المخاريف ، حتى لا يخامرها
جزع فهو ذو نجدة . ومن حرص على الاعمال العظام ،
توقفاً للذكر الجليل فهو ذو الشهامة . ومن استعمل
البدن في الاعمال الحسية وصبر على ذلك فهو المحتمل

فلكد ، الرفيع القدر ، فانت ترى امثال الشجاعة والحلم
 اشبه شيء بحال القدر عند غلباتها ، بلا اضطراب ولا
 ضعف ، الا ترى أن الأقدام فيما ينبغي وهو الشجاعة
 والسكون ، والعفو عمن ينبغي العفو عنه ، سلوك
 للسبيل الأقوم ، ولو أنا اقدمنا على عقاب الضمفاء ، أو
 الاقران عند القدرة ، أو تخلينا عن مصادمة الأعداء ، وقبلنا
 العار ولم نطلب عظام الأمور ، لكننا خارجين عن السبيل
 الأقوم ، ولكننا اشبه بالقدر المضطربة في الأولى ، أو البطيئة
 حركة الغاليان في الثانية ، وخير الأمور الوسط .

✽ تمرين على القوة الغضبية ونصائح ✽

الحجل وحب الحمد بلا عمل

أيها الطالب طالب امتك واخوانك المصريين بالجد في
 أعمالهم ، والاجتهاد في حياتهم ، قل لهم دعوا الكسل
 واقدموا على العمل ، وياكم والمرح ، فانبذوه ، واشغلوا
 انفسكم بما يجب من الحقائق ، ودعوا الهزل بالجد في طلب
 الفضائل .

المجالس غاصة بالهزل والاستهزاء والتعير والملاحاة ، واذا
رايت امرأً ينجبل ، مما لا يفعل او يجب ان يحمده بما لا يفعل ،
فاعلم انهما جاهلان بانفسهما ، فالأول في ظرف التفريط .
والثاني في طرف الافراط . ايها الطالب حافظ على شرف
أمتك ، وعشيرتك واخوانك في المدرسة ، وسائر المتعلمين
ومواطنيك ، ولا تقعد عن نصرهم واظهار فضلهم ، وحفظ
ناموسهم ، واعلم أنهم ان ارتفعوا رفعوك وان أنضعوا فانت
لا شك موضوع ضعيف .

❖ دواء الجبن ❖

واذا رأيت في نفسك ضعفاً وخمولاً وجزعاً ، وفرقاً
فعامل نفسك بقصد ما فيها ، فان مالت الى الكسل والخلول
والجبن فألزمها بالاعمال ، وتجشم المشاق وتحمل الاخطار ،
واركب السفن عند تلاطم أمواج البحر الخضم ، وقف في
موطن تتقاذف فيه المدافع ، وتتأجج فيه نيران البنادق ، وان
آنست الطيش والغرور ، واستشاطة الغضب فاخمد نار ذلك

بان تعتمد احتمال اذى من يؤذيك مراراً وتكراراً حتى
يصير ذلك ملكة فيك ثم اعتدل واستقم
* تمثيل ونصائح لاستعمال القوة الشهوية والفضيية *

* ست نصائح *

الحياة الدنيا بحر ونحن فيه مسافرون، والموت الساحل
والسفن اجسامنا، وما أوتينا من صحة ومال وولد وسلطان
شراع السفينة، والقدر البخارية غضبنا، والماء المتبخر شهواتنا
وعقلنا هو المنظم للسفينة لتسير في ذلك البحر المتلاطم
والسبيل للاتظام في سيرك، في بحر حياتك، أن
تقهر القوة الشهوية بثلاثة امور،

(١) ان تجتنب مجالسة السفهاء والحلقاء، والصبيان
والنساء والاراذل.

(٢) وان تكثر مجالسة الزهاد وذوي الاجتهاد والورع

(٣) وان تعدل شهوتك وتقصد جميل الافعال . ثم

تقهر القوة الفضائية بثلاثة امور:

- (١) ان تذكر من توهذيه ان او كان هو الموءذي هل كنت تختار ذلك ام كنت تنفر منه
- (٢) وان تذكر طيش غبرك هل كنت ترضاه لنفسك؟
- (٣) ان تكسر سورة غضبك وتصرفها الى كسر القوة الشهوية .

ولقد عبر الله قوماً بتجاوز الحد في القوة الغضبية اذ قال على لسان بعض الانبياء تقريباً وتوبيخاً (واذا بطشتهم بطشتهم جبارين) وقال في عنوعاد وكبر باثها (وقالو من أشد منا قوة) وقال (وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى) وذم الطرف الادنى من تلك القوة ، اذ قال في غزوة تبوك (وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حراً) وقال (اناقاتهم الى الارض ارضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة) وعبر قوماً اذ قال قائلهم (قالوا يا موسى ا فيها قوماً جبارين وانا ان ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الآية) فهذا وامثاله تقبيح لرذيلة الجبن ، فاصمة الظهر ، ومدح التوسط في تلك القوة ، اذ قال (أشداء على

الكفار رحماء بينهم) وقال (وان جنحوا للسلم فاجنح لها
وتوكل على الله انه هو السميع العليم)

﴿ القوة المكرية ﴾

هي القوة الثالثة للانسان ، وبها اختص من سائر الحيوان (على رأي)
وهي تقوى بتدقيق النظر في العلوم العقلية ، والبحث والتنقيب
فيها ، والتدريج في استعمال العادات الجميلة ، وترك ضدها
ومداومة الاطلاع على كتب الاخلاق والسياسات والعمل بها

﴿ القول في القوة الفكرية ﴾

(١) فضائلها ورذائلها

ضرب مثل بحكومة منظمة ضرب مثل بحال المؤلف . حكاية .

تعداد الفضائل والرذائل للقوة الفكرية تمرين عليها

(٢) « ضرب مثل للعمر الانساني بحكومة منظمة »

نصور حكومة منظمة ذات خمس ممالك لكل منها

رئيس وقيم يضبط حسابها ويجمع اموالها ويسلمها لمن

ييدهم الحل والعقد في العاصمة الكبرى والمجلس الاعلى ، فاذا

نظموا احوالهم ورتبوا نظامهم وأنما دفاترهم قدموها الى مفتش

الديوان ، وهذا المفتش يجمع دفاترهم ويحصر صادرهم وواردهم
ويرتبها في اماكنها ، ويسلمها الى وكيل الديوان ، فاذا
تسلمها وفرق وجمع ووصل وقطع ، وتأمل واستنتج اخذ
صورة من نظامها ومجملها من مفصلها ، وحفظها في خزائنها
ونظمها في اماكنها ثم انطلق الى الملك ، فاطلعه على ما
نظمت بداه ، وما رتبته الرومساء في ديوانه وما نظمه اعيان
اعوانه وهناك مجاس كبير وجمع عظيم ممن لهم علاقة كبرى
ورابطة عظمى لا انفصام لها بسائر الممالك المعروض أعمالها
المشهور احوالها فيقدم الرئيس ما لديه بين ايديهم ويعرض
ما وراءه عليهم فيميزون الخطأ من الصواب ويديرون امر
الحساب ، ويرفعون وينخفضون ويذلون ويعزون فاذا فرغوا
من نظراتهم واتوا درس نظاماتهم ، اخذها ناظر الديوان
فحكم بما هم آمرون وأبرم ما كانوا به يشيرون ذلك مثلنا في
حياتنا الدنيا — فأما المالك الخامس: —

فاولها عالم المبصرات ، والانوار والالوان والصور والاشكال ،

والقرب والبعد وامثالها ورئيسها حاسة البصر . وهي آلة النفس
في ادراك المبصرات . وثانيها عالم المسموعات من الاصوات
والحروف ، ورئيسها آلة ادراكها وهي السمع .

وثالثها — المشمومات من الروائح الطيبة والحيثة ،

ورئيسها حاسة الشم . ورابعها حاسة اللمس ، تدرك امثال
النعومة والخشونة خامسها الذوق للمذاقة فاذا حفظت هذه
القوى ما جمعت ، ورسمت ما عليه اطلمت ، وضعتها جميعا في
خزائن النفس الانسانية واودعتها في اماكنها ، واست ادخلك
ايها الطالب في تفصيلها او اطيل عليك في تسميتها ، فانما
نحن اليوم طلاب اخلاق ، وانما اقول لك ايجازا ان النفس
اذا اطلمت على ما ورد عليها من تلك الجهات فكرت فيه
واجالت النظر فيما لديها من تجربة وعلم وذكاء وفهم وجهل
وحق وخمود وقلق ثم ترفع منها صورة الى اكبر قوة فيها
وهي القوة المفكرة فتبرم ما قرت عليه الاراء من طيب وخيث
وجيد وردى .

مثال من نفسي — ولا أوضح لك هذا المقام بهذا المثال

اليوم يوم الخميس الثاني والعشرون من ذي القعدة سنة
 ١٣٢٨ الرابع والعشرون من شهر نوفمبر سنة ١٩١٠ استيقظت
 فصليت فأفطرت فأمسكت القلم فطفقت اكتب هذا الدرس
 بدافع حب العمل والرغبة القوية في الكتابة . اذا صائح
 يصبح من اعماق نفسي ، وهو منظم الاعمال فيها احسست
 به يكلمني بكلام نفسي ، بلا حرف ولا صوت يقول كيف
 ابتدأت في العمل بعد الطعام ، وهلا ارحت نفسك ثم كتبت
 درسك و همل نسيت ما تعظ به الناس ، ونقول دعوا العمل
 بعد الغذاء والا حقت عليكم كلمة الداء ، اذا قائل من نفسي
 وهو داعي العمل يقول دع الانذار والتخويف ، ولا تضجع
 العمل بالتسويق ، الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك
 فدع للام وجانب الخصام .

فأما ما أنذرتنا به من الداء العضال ، لما فرطنا في
 نظامنا وكتبنا عقب غداتنا ، فانما ذلك فيمن ملأ بالطعام
 الوعاء ، فذلك هو المخصوص بالداء ، فاما من اكل لقيمات
 فما هو بمسئول . وعند ذلك ناداه منظم الاعمال يقول أيها

الفاضل صه صه ألم تسمع خفقان القلب ، ومرة ضرباته
أقطع العمل أقطع العمل ، حينئذ تمت مسرعاً ورميت بالقلم
فتعجب ايها الطالب كيف كانت اغراضنا وأحوالنا
ورغباتنا تتخاصم وتتجادل كأنها مجلس منظم شوري مثقن ،
وكيف يغلب اقواها حجة اضعفها برهاناً ، وكيف يحكم الفكر
الانساني بما وضع له من الدلائل ، حتى انه لينقاد للشهوات
المهلكة اذا دعت داعيتها وغلب سلطانها ، فالله عز وجل
منحنا حرية التفكير ، ووكّل لنا تربية اغراضنا ورغباتنا ،
واعطانا الفرص لنفكر وندير ، ولعمري ان هذا لعجب
عجاب (ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم
يظلمون) .

اعمالنا الصادرة عنا نواتج تدبير انفسنا ونظام قوانا الانفسية
فان غلبت قوى الخير فتحن الصالحون ، وان غابت قوى
الشر كان الفساد ، وتعجب ثم تعجب كيف كانت الامم
في مجالسها تتبع هذا القانون ، فان رقت اخلاقها والتأم
جمعها كان الصلاح في البلاد والعباد وان ساءت اخلاقهم

وادبرت نفوسهم غاب الشر على الخير وساءت الحال
والانسان مملكة واي مملكة مملكة بديعة عجيبة
لذلك وجب علينا ان نبين في هذا المقام ، قوانا العقليه
التي يرجع لها الفكر عند السير في اعمالنا فلقد تبين لك
ان القوة المفكرة المنطقية فينا ليست حرة التصرف وانما هي
كرئيس الممالك النظامية يهرم ما دبرته المجالس الشورية
فتحن ايها الطالب الذي أسرى عادتنا ، صرعى اخلاقنا
فاذا قومناها فتحن المفلحون واذا تركناها ترعى في مراعي
المملكة فالفرطون هم الخاسرون

* مطية *

قابلني مرة طاب بالمدارس الثانوية يضم التبغ في
ورقة وهو يعرفني ولا اعرفه فتأديته فلي فنهيته فقال لقد
عزمت ثلاث سنين على تركه والشهوات تمنعني وحكم العودة
يقهرني ولقد صممت اليوم صباحاً على تركه والانسلاخ من
شره فسوفت نفسي الامارة بالتوبة ، وقالت لا بأس عليك

في هذه النوبة ، فقلت لو قويت ارادتك لزال شهوتك ،
 واذا عصتك شهوتك في صفرك فماذا عسى يكون امرك اذا
 وخطك الشيب ، وادخلك في يوم من الضعف عصب ،
 فرمي ورقته وابتدا توبته

﴿حكاية اخرى﴾

قالباني منذ تسع عشرة سنة ، رجل غادر الحكومة بالاستغناء
 ولم يكن لي به سابق معرفة فقال في خلال كلامه لقد
 كنت من عمال الحكومة فنبذتني فاخذت اتسلى بابنة الكروم
 وتدرجت فيها حتى صارت عادة لازمه وملازمة راسخة
 فابتغيت بالهلاك ، وكم صمت وعزمت وصليت وتضرعت
 ودعائي مردود . وكما لزم كسر بيتي ارسل لي ندمائي
 يقولون وماذا يضرك من الخمر اليسير فارجم لعادتي واتمادي
 في بلوتي واتقد مضى لي اربع عشرة يوما رجعت فيها عن
 عادتي وعسى الله الا يرجع لي شقوتي

وكنت معه اذ ذاك وقت الظهيرة خلف قنطرة قصر
 للنيل ثم انصرفنا وما ادري ما فعل الله به فهل تاب واناب

ام هوت به هاوبته وصرعته غاشيته

لقد ان الاوان ان نبين لك ايها الطالب الذكي تلك
القوى الفكرية عسى ان تصلح منها ما فسد وتداوم على ما
صالح فنقول :-

ان القوى العاقلة الفكرية آلتها النظر واحد قواها الفهم
الفارق بين الحق والباطل والادب يحركها نحو افعالها الصالحة ،
والاهمال بدعها في اعمالها الطالحة وبها يكون الفكر و يختص بها
الانسان

فان اعتدلت فصاحتها بوصف بجودة العقل وصحة
الفكر والتميز وان خرجت عن الاعتدال ، فاما الى النقص
فصاحتها بوصف بالبلادة والعمى واما الى الزيادة فصاحتها
بوصف بالمر

✽ تفصيل فضائل القوة الفكرية ✽

(الاعتدال) . العقل . الذكر . الحفظ . الذكاء . الحكمة . الفهم . التمييز .
النطق . الصدق . (التفريط . الافراط) . السفه . الرباء . النجاسة . التبذل .
القدر . الضرر . الحق . الكذب . الجهل . المكر . الخبيث . البلادة .

متى صحت روية الانسان واعتدت قوته الفكرية ،
 فانه يحكم على حقيقة المطلوب بما هو عليه بقوة تسمى (العقل)
 فاذا تذكر الصور والمعاني ، التي حفظها في خزائن عقله سمي
 ذ (ذكر) واذا ثبتت صور المعاني في النفس كان ذا (حفظ)
 فاذا كان سريع الاستنتاج سمي ذا (ذكاء) فاذا اصطنع اشرف
 المعلومات وعرف أجل العلوم سمي (ذا حكمة) فاذا ادرك
 المعاني الواردة على النفس سمي (ذا فهم) واذا فرق بين الحق
 والباطل والطيب والخبيث سمي (ذا تمييز) وبالكلام يقال انه
 (ذو نطق) واذا اخبر بالشيء على حقيقته سمي (ذا صدق) فهذه
 الفضائل للقوة الفكرية فمن منحه الله اكثرها ، او جميعها فقد
 اوتي مقاليد الحكمة ، وفتح له باب الرحمة ، وابواب الجنان
 (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر
 والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها) الآية

فليعض بالتواجد عليه وليسأل الله الزيادة منها ، ومن
 حرم بعضها او اكثرها فليحكم ارادته وليعزم أمره وليساط
 قوة الغضب على الشهوة بقوة الأرادة وصدق العزيمة ودونك

ردائل النفس لتحتس من غوائلها ولتنأى عن باطلها
 ذلك ان الانسان اذا تنزل عقله عن مرتبته وعزله
 عن عز مملكته تدلى الى حضيض الرذائل واحاطت به
 تلك الوحوش الصوائل فانه ان استعمل الفكر فيما لا ينبغي
 من الاعمال عموماً سمي ذلك (سفهاً) وأن عمل ليعتقد الناس
 فيه وليراثي مجالسه فيه فهو صاحب خلق (الرياء) وان تنزل
 الاقوال المكروهة بين الناس كان (ذا نعية) وأن جالس السفهاء
 واطرح الحشمة وراءه ظهرياً واكثر من المزل سمي (متبذلاً)
 وان رجم عما ضمن الوفاء به ووعد الناس ببذله فهو ذو
 (غدر) وان بادر الأمور بغير توقف وسارع الى الحركة بغير
 حاجة سمي ذا (خرق) وان تصور الممتنع بصورة الممكن
 أو عرف الصواب وترك العمل به فذلك الموصوف بالحق
 وأن أخبر بالشيء على خلاف ما هو عليه فهو موصوف
 (بالكذب) وان ترك استعمال الصواب لعدم معرفته فهو ذو
 (الجهل) وأن اضمم الشر للناس واستعمل الخديعة فهو ذو (المكر)
 والخبث) واذا عطل هذه القوى واطرحها من غير تقصير في

الحلقة فهو الموصوف ابباللاده) هذه هي الرذائل التي اذا صادفناها في نفوسنا وجب علينا الاقلاع عنها والتملص من شرها والتخلي عن أذاها وهي مفاتيح أبواب جهنم

﴿ عكز ﴾

اثنان يسعدان في الدنيا والاخرة . العلم وحسن الخلق
واثنان يشقيان في الدنيا والاخرة . الجهل وسوء الخلق اللهم
البك مقاليد الامور فانقذامتنا من الجهل وسوء الخلق
والكذب والهزوء والسخرية والفجور والفسوق والتبذير
والبخل والحق والترف انك انت السميع العليم

﴿ تمرين على انقوة الفكرية ﴾

وضح لك القول فيما سلف ان قوانا العقليه منتظمة
كمجلس فمنهم اصحاب اليمين ومنهم اصحاب اليسار ولكل من
الحزين رأي وحجة يقدمها وآية بينها فترى امثال البلادة
والحق ترجع جانب الجهل والخسران وامثال الذكاء والحكمة
يرجحان قوة العلم والرجح والنعيم « مثلاً ضرباً لنظام النفوس

الانسانيه بالمجالس النظامية الرسمية . الاول لما هجم النار على
دولة الاسلام في اوائل القرن السابع بقيادة جنكيز خان
واقربوا من النهر وراء التركستان التام مجلس اهل الحل
والعقد من المسلمين وتشاوروا فيما بينهم وقالوا أيجتمع المسلمون
فيتلاقون باعدائهم حوالي النهر ام يبقون في اماكنهم ويدافعون
متمحصنين في حصونهم . فمن اخثار الاول وهم الفقهاء قال ان
القوة في الجماعة والخيبة في التفريق . ومن اخثار الثاني وهم
قواد المساكر قال انهم ان دخلوا بلادنا وتفرقوا بيننا قدرنا
على سحتهم متفرقين . فاخثار القوم اخر الرايين فدمرت البلاد
وحق نقول على العباد

فهذا مثل من فساد الرأي في المجالس النظامية . الثاني لما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازع المهاجرون والانصار
وخطب سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه فما بان
الاصلاح الا بخلافة المهاجرين ووزارة الانصار اذ قال منا
الامراء ومنكم الوزراء فبايعه اذ ذاك عمر رضي الله عنه
والصحابة اجمعون والتام الجميع وتم الامر

فهذا مثل الانسانية من امثال المجالس المنتظمة . اذا
عرفت هاتين اللطيفتين التاريخيتين فلتوثر من بأن عقولنا في
نظامها لا تعد واحد هذين المثالين فمن ساءت فطنته وغلبت
شهوته تسلطت قواه القصيرة النظر كما في المثال الاول ومن
ثربت قوى عقله وانتظمت أراؤه ترجحت حسناته وقلت
سيئاته كالمثال الثاني وتذكر ملاحظته امس في نفسي وما
ادركته في وجداني الحفي

✽ ملحة ✽

ولأقص عليك قصص اليوم لتراقب نفسك كما راقبتها
وتلاحظها كما لاحظتها . استيقظت يوم الجمعة ٢٥ نوفمبر سنة
٩١٠ صباحاً وأنا كالمصدوع من برد الم يجسمي فأردت
تناول الطعام كالعادة ومناد ينادى من نفسي بلا صوت
ولا حرف تبيته وفهمته يقول

اياك والطعام فالجوع شفاء المصدوع فقالت القوة الراضية
في الغذاء لنا غذاءنا ولا تقطع رجاءنا فقال ذلك المنادي

المنظم بالغذاء بوشك ان يزيد الصداع . فقالت الرغبة
 لكن خلو الجوف بقطعنا عن العمل وبخلد به المره للكسل
 ويدوخ الانسان ويلحقه النسيان فقال المنظم اذا اجتمعت
 طنان يتبع الأخف فالجوع علة وازدياد الصداع أخرى
 ولكن الحبة رأس الدواء ولم يقل أحد ان في الصداع شفاء
 فقالت الرغبة

« ورب مخمصة شر من التخم »

عند ذلك انبرى الفكر وقال أما انا فساخذ بالرأيين
 واستنتج من المقدمتين وأعمل بالحجتين فليأكل من
 الأطعمة أخفها ولا يتعاطى الحبز واللحم فتبقى للجسم قوته
 ويخلص من آلامه وشقوته ثم قال قضى الامر الذي فيه
 تستفتيان

هذا ما قام بنفسى اليوم والناس أجمعون على هذا
 سائرون ولو اني نبذت تعاطى الطعام ظهرياً لكنت في جانب
 التفريط ولو اني لزم عادتي وأقطرت كرجعتي لزاد المرض
 وكان ذلك افراطاً والعقل في سائر الايام لا يفتأ يفكر على

هذا القياس بجرية فكر ونظام والامر لمن غلب من الاشرار
او الاخيار

✽ ذم الافراط في القوة الفكرية في القرآن، ذم التفريط فيها ✽
« مدح الوسط، مثال جامع للقوى، تطبيق القرآن »
• على فضائل القوى الفكرية وردائها •

(١) ذم الافراط في القوى الفكرية من القرآن قال الله
تعالى ذمًا المتففين (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله
يستهزى بهم ويدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشنعوا
الضلالة بالهدى فما رجحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) وقال
ذمًا اذ مكروا (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
فذلك يئسهم خاويةً بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم
يعملون • وانجيناهم الذين آمنوا وكانوا يتفنون)

(٢) ذم التفريط والنعي على المقلدين استثناءهم وجهلهم
بالحق (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب

السعير فاعترفوا بذنوبهم فسحقاً لأصحاب السعير)

فانظر كيف كان إهمال العقل وترك التفكير داعياً لدخول جهنم كما أنه سبب الذلة في الحياة الدنيا ، وقال يذم الذين اتبعوا الروءساء في العقائد والتفكير ، وغفلوا عن أنفسهم (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرهنا فأضلونا السبيلاً ، ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) وقال يذم الضعفاء الذين اتبعوا المستكبرين في جهنم (واذا يستعاجلون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار وقال في قوم (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) . وقال في من يقرءون ولا يعقلون (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار اعرج . وقال (أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوبهم أظالها) وقال في ذم تقليد الامم الجاهلية (وقالت اخرايم لاولاهم ربنا هو لاه اضلونا فاتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخرايم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) فتمجيب كيف ذم الغافل

بِالآيَةِ الْأُولَى — وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَقُلْهُمْ وَاتَّبَعُوا الرُّسُلَ بِالثَّانِيَةِ
فَالْمُسْتَكْبِرِينَ بِالثَّالِثَةِ وَاتَّبَاعَ أُمَّةٍ مُتَأَخِّرَةٍ أُخْرَى مُتَقَدِّمَةٍ
بِالرَّابِعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ بِالْبَاقِي. (وَقَالَ أَفْنُ زَيْنُ
لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا فَأَنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ

(٣) طلب التوسط في القوى الفكرية من القرآن
قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتى هي احسن) ولعمري ان هذا اعدل ميزان
فاذا دعوت الناس فانظر مراتبهم ، فالعقلاء الاذكياء بالعلم
والحكمة ، والجهلاء بالموعظة الحسنة ، والمجادلين الذين لم يصلوا
الى طبقات العلماء ، فبعثوا بالحكمة ولم ينحطوا الى دركات
الجهلاء فتكفيهم الموعظة ، فوائلك يجدي معهم الجدال بطريق
الحسنى قال تعالى (ولا مجادلو اهل الكتاب الا بالتى هي
احسن) وقال (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا
الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال (ومن يؤت الحكمة فقد
 اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب) والحكمة كل
 كلمة وعظمتك او نفعتك (وقال وما يعقلها الا العالمون)
 وآيات القرآن كثيرة في مدح التفكير والتعقل كقوله (ان
 في ذلك لاية لقوم يعقلون) (ان في ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون) فاقراً الايات التي شرحت العالم مثل
 (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض) ومثل (ان في
 خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي
 الالباب) وبالجملة ففي القرآن سبعمائة وخمسون آية كلها حث
 على التفكير والنظر واستعمال هذه الموهبة الجليلة العقلية (والله
 يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) مثال لجميع ما تقدم
 في الفوى الثلاثة)

خبيث دهاء	الافدام التهور	شره نهمه	تبذير امراة
حكمة	شجاعة	عفة	
بلادة	الجهن الخوف	ضعف الشهوة	امساك فقير

* العدالة *

(ما الذي يتعلمه الطالب ويعمله ؟ ما الذي تعلمه الامة وتعمله
الصناعات ؟ العلوم الشرفية والغربية ؟ لا سمادة الا بالاجتماع ، حب
الغني والفقير ، والصعلوك والامير ، اسباب الخيبة .)

هانت ايها الذكي الطالب قرأت ما فصلنا في تقوى
الثلاث ، من الشهوة والغضب والفكر ، رعلت الرذائل والفضائل ،
فلتعلم اليوم ان اجتماع فضائلها ، وانتفاء رذائلها يدعى عدالة .
وعلى ذلك تكون الفضائل اربعة ، الحكمة والشجاعة ، البرة
والعدالة ، هذه هي السبيل الوسط والصراط المستقيم فالعدل
من جمع تلك الفضائل أو قاربها والجائر من لم يرفع بها رأساً
أو لم يقاربها فمن اعتدل فإنه يتصف بسبع خصال « ١ »
العبادة لله وتمجيده وتقديسه وتكريم رسله واجلالهم فإنه عز
وجل هو مصدر النعم والخيرات والرسول والانبياء هادون
مرشدون « ٢ » ان يكون له اصدقاء يهتم بأمرهم ويقوم بشأن
صدقاتهم « ٣ » الالة بحيث تتفق الاراء في تدبير نظام الاعمال ،
مع الحب والاخلاص بين الجمعيات وسائر طبقات الامة « ٤ »

حصة الرحم ومواساة من نصلهم بك لحمة المنسب بالبدن
 والمال والجاه والعلم والتعليم «٥٥» المكافأة وهي مقابلة الاحسان
 بالاحسان وللزيادة خير وافضل «٦٥» حسن المشاركة وهو
 الاعتدال في الاخذ والعطاء، وانصاف من نفسك «٧٥» التودد
 بحسن اللقاء وجعل الافعال لآبائه وابنائهم واقربائه ولا صدقائه
 ومخالطيه ومعاشريه وللقريب المسافر ممن ورد عليه فليجيبهم
 وليكرم مشواهم فاما من خرج عن الاعتدال فذلك يتصف
 بخمس صفات «١» الظلم وهو ان يتوصل الى جمع المال من
 حيث لا ينبغي «٢» الانظلام وهو الرضا بالمذلة «٣» النذالة
 وهي منقصة تنزع بالمرء الى الجمع من كل جهة «٤» العجز
 فلا يسمو الى امل ولا يتوق الى شرف «٥» الضجر وهو
 ان يحزع الانسان ويتغير سريعا من اي شيء يرد عليه

✽ ما يعلم الطالب وما يعمل ✽

لقد فهمت لماذا خلقنا وبماذا نحيا ولم خلقت الفرائز

فينا قد فصلنا لك هذا فيما مضى

تعلم من هذا ايها الطالب الذكي ان سعادة الانسان
 بالعلم والعمل ، وعالم الاخلاق لا ينسى حظ طالبيها من العلوم ،
 انه يسعى لائتلاف القوس ويجد لقلبة القوة العقلية ،
 على الاخرين تخضعا له خضوع الروموس للرئيس ، والقوة
 العاقلة لا تفتأ تطالبنا بعلم حقائق العالم المحيط بنا فلنعطها حظها
 ولو قليلاً من العلوم الطبيعية والكيمائية كالضوء والحرارة
 واحوال الماء والسحاب واجزاء المواد من حامض وسائل
 وهوائي فالعقل لا تنهأ له حياة اذا اصم اذنيه وأغمض عينيه
 وعاش كالجماد لا يدرك سر من حوله ولا يقف على خبر
 مما يرى له صباحا ومساء ولتعرف انواع الحيوان وعجائبه
 وغرائب النبات وبدائع المعدن والحكم العالية الدقيقة في
 تركيب اجسامنا لتتال الحظين وتقتطف الثمرتين ونجني جني
 الجنتين جنة العلوم لجمالها والمنافع المادية للحياة الجسدية ولتقرأ
 عجائب الفلك والرياضيات وما انتجت من الموسيقى وتركيبها
 البديع العجيب وتعلم ان تقويم الاسان مقدم على الرياضيات
 فلتقرأ اللغة ونحوها ومنشورها ومنظومها وخطبها وعلم اخبار

الانبياء والاولياء والملوك وسياساتهم واخبار الفضلاء والحكام
 والكرماء من سائر الناس واتعرف الكتاب والسنة والتفسير
 والحديث وعلم الحكمة الباحث عن العالم ونظامه وخالفه
 وملائكته والروح واحوالها وبراهينها ثم لتتخذ لك صناعة
 تنفع لها بقيه الحياة لتتقنها وتحسنها كالتدريس والامارة
 والصناعة من طب وهندسة وكتابة ولا يصدك عشق العلوم
 عن الصناعة الخاصة كما لا تصدك الصناعة الخاصة عن
 العلوم فانما تلك العلوم اجمال والصناعة الخاصة تفصيل
 وتحقيق فاما العمل فذلك ان تسوس نفسك كما
 قدمنا وتسوس اهل منزلك واتراع سياستك مع العالم
 وليكن لك علم باحوال الامم المحيطة بنا اجمالاً من
 غربيين وشرقيين لئلا ينفر طبعك من طبائعهم فلا تتخذ
 الاحسن من اعمالهم ولا تستطيع الفرار من تدبيرهم بامتك
 اذا ارادوها بسوء واعلم ان لكل امة من الأمم اخلاقاً
 واداباً وحكماً من صينيين وهنديين وغربيين وروسين فاتخذ
 من كل شيء احسنه

﴿ ما نَعْلَمُ أَلَامَةً وَمَا نَعْمَلُ ﴾

الصناعات . العلوم . الشرقية . والغربية

كما ان الصائد لا ينال قنبيسته والمصري لا يحصل جنته
الا بمحسان للاول ونهر النيل للثاني فهكذا لا يجبا المرء حياة
طيبة الا اذا كان صحيح البدن يستمرىء الطعام والشراب
وهذا يستدعى صناعة او مادة تقوم بحاجته والامة كالفرد
اذا ضافت سبلها وقت صناعتها او زراعتها فانما مثلها مثل
الصائد ضعفت فرسه والمصري غاض ماء نيله والانسان
كلت شهوة طعامه والامة المصرية الان احوج الى رقي
الصناعة والزراعة والتجارة لسد خلال الضعف المادى لانك
علمت تمثيل الامة بالفرد ولانذكر أيها الطالب ان بعض
القول الضعيفة النظر اقتصرت على علم لا تعداه فمنهم من
قرأ العلوم الشرعية او القديمة فخاب غيرها ومنهم من
سافر الى اوربا فرجم كافراً بالشرق وعلومه وهؤلاء ضالون
مضلون فلتكن كما قال الله تعالى فيشر عبادى الذين يستموتون
بالقول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا

الالباب . ولقد علمت أن الصائد بلا كلب معلم قابل الفائدة
فهكذا الانسان بلا شهامة ولا غيرة ولا شجاعة لا حياة له
ولا عز ولا فضل وهكذا الامة التي قل نصيبها من الشجاعة
ورجال القوة ضائع امرها كبير ضررها قليل خيرها
كمثل النبل ضاع ماؤه في البحر والصائد مات كلبه والاسد
قلبت اظفاره وقطعت مخالبه والفقيل قلع نابه وامة هذا
شأنها تصبح كأنها كرة تتلقفها الابدی وتصير في الاذنين
الذين خل سعيهم في الحياة الدنيا وهو يحسبون انهم يحسنون
صنعاً لذلك كانت السعادة بالاجتماع والحب جماله وكماله
وقد علمت أنه لا بد لكل امري من عمل يقوم به المجموع وتعلم
أن أمتنا المصرية اليوم ليس لها حظ في شيء اكثر من القضاء
والحمالة ولا تزال طفلة في الصناعات والتجارات والزراعات
التي فيها غذاء الامة وهي منزلة . منزلة الكلب في الصيد والنيل
في الزرع والمعدة والامعاء والكبد في الجسم ونظارة الداخلية
والهندسة في الحكومة

✽ فصل الحب ✽

(١) حب الناس (٢) تمثيل بالحشرات (٣) حب الروساء (٤)
 رابطة العلم والاخلاق (٥) رابطة الدين (٦) حب الابوين والاقارب
 (٧) الحب العام

على الامة تكميل ما نقصها وعلم ما جهلته وهل المنفرد
 سعادته من ابن له القيام باعباء الحياة وسقى الزرع وحصد
 ودرسه وغربلته وطحنه وخبزه وكيف يهندس ويوقد النار
 ليسير القطار وينظم البريد ويغرس الاشجار ويمجري الانهار
 مما لا يحصر القلم مقداره ولا تبلغ سعة البحر مداده فلمعرك
 من ذا الذي يلم احتياج الناس للناس من ذا الذي يعلم أن
 سائر الناس له خادعون فالهندس لأجراء الانهار والفلاح لغرس
 الزرع وسقى الاشجار والطبيب لمداواة الاجسام بالعقاقير

فاحب أيها الطالب سائر الناس لاسيما ابناء أمتك
 واعلم ان بغض اناس ناشئ من حقارة النفس وصغر هممتها
 ودنائها وجهلها والبغضون للناس قوم ختم الله على قلوبهم
 فهم لا يفقهون ومن كره الناس فقد كره نفسه فانهم يكملونه

ومن كره من كره فقد كره نفسه ومن كره نفسه فهو من
 أجهل الجاهلين . انظر وتعجب ألم تر النحل في كواراته
 والنمل في بيوته والزنابير في جماعتها كيف تعاونت وتعاضدت
 واتحد بعضها مع بعض وكونت أمة تجمع الطعام وتدفع
 الأعداء . قلوبهم قلب فرد واحد وقد شاهد الناس كيف
 تتحد الزنابير على أن تلسع من يقربها أو يمسها بسوء لقوة
 الانحد والتضامن والتكافل وأن المجموع فرد واحد

يا حسرة على الأمة التي حرمت المودة والمحبة بين
 أفرادها أولئك هم الطاغون . لا تسمى الظن بمن نولى رئاسة
 أو أنعم الله عليه بنعمة المال والحياة فتكرهه وتبغضه لهذا
 السبب . وتعلم أنه أخوك وعضدك وحافظ أمتك متى
 كان عادلاً صادقاً أميناً فأحبه وأعنه

ولا اتخذ غناه وأمارته ورفعته وجاهه وسيله للكرامية
 أنك أن فعلت ذلك بلا سبب يقتضيه ولا ذنب يجنبه
 فقد دلت على صغر في نفسك وخور في عزيمتك
 وتعلم أن أبناء الأمة كاعضاء الجسم فالرأس لا يسعها

الاستغناء عن العين ولا العين تستطيع السعادة بلا رجل
وليست الرجل نائلة خطها ما لم يكن الرأس والقلب والامعاء
ولو أنهم نطقن لقات كل منهن . إنما حياتنا أسامها الحب
وقوامها الصداقة ونتيجتها السعادة

✽ الحب العام بالتعليم العام ✽

أيها الطالب الصادق الحب أول سعادة البلاد وآخرها
ولعلك شاقك أن تعرف سببه

فلتعلم أن النفوس لا تتحاب الا بالاجتماع في صفات
وأحوال فكما اقتربت تحابت وكما تباعدت تنافرت ولذلك
وجب تعميم التعليم

✽ الفضيلة والرذيلة والسعادة ✽

إذا زرعنا شجراً وتعيننا في انماؤه فغايتنا ثمره هكذا اذا
نصبنا في تحصيل الفضائل فالغاية السعادة

السعادة نيل المراد الشريف وراحة النفس والاستلذاذ
بالفضائل ولا سعادة لفؤاد مضطرب ونفس فاجرة فما من
رذيلة الا ولما في النفس سوء الاثر فالجهل أشد الآلام

والبلاد شقاء الجهال والنسيان والسهر بلية الانسان والمعجب
والكبر يوردان القلب موارد العطب ويصرعانه في المنقلب
بالحفظ الحسيسة والشهوات الباطلة والتعرض لمقت الماقتين
واستهزاء المستهزئين والحسد يودي بصاحبه ويقطع فؤاده
ويقلبه في نار السعير ويعرضه لخطر كبير والشره يعذب
صاحبه ويوقعه كل يوم في نائبة . ومن ظن المال غاية
ما اشتهاه والسلطان والعز قصارى مناه عذب بها العذاب
الاكبر

ولا تعجبك أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم بما يصيب محبوبيهم من
الافات وما يعرض له من النكبات وهم عادمو الصبر قليلو
الاجر كثير والملم عظيم والجزع فاني يكون المرء من السعداء
وقد كتب نفسه بيديه في ديوان الاشقياء فالسعيد من
اتبع الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم بالعفة
وما ينبعها والشجاعة والحكمة واقسامها اولئك هم السعداء في
الدارين عند ربهم يرزقون فرحين اذا اعتادوا وصرنوا على

ذلك حتى صار مستلذاً معشوقاً فيأنس بالمعارف العالية
 والطبيعات واقسامها والرياضيات وافلاكها والالهيات وجمالها
 ويعلم ما تصله القوة البشرية من المعارف الحكيمية ويأنس
 بالعدل في عمله والصدق في منطقته والمروءة في اصحابه وقد
 أَرْضَى أَشْرَفَ الْعُقَلَاءِ وَرَضِيَ بِمَا سَافَهُ الْقَضَاءُ وَلَا يَطْمَعُ
 فِي رِضَاءِ سَائِرِ الْعَالَمِينَ فَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي حَيْزِ الْإِمْكَانِ
 وَغَايَةِ الْأَمْرِ وَقَصَارَاهُ التَّعَالَى عَنِ الرَّعَوْنَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ
 وَالرِّضَاءِ ثُمَّ الطَّمَأْنِينَةِ - يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ
 رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي
 مِنْ هَذَا تَعْلَمُ قَوْلَ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْغَرْبِ لِبَعْضِ شَبَابِنَا لَا
 يَضْلُكُ الْمَالُ إِذَا امْتَلَأَ قَلْبُكَ بِالْفَضِيلَةِ فَاَمْلَأِ الْقَلْبَ حِكْمَةً وَفَضِيلَةً
 وَالْجَيْبَ فُضَّةً وَذَهَباً فَلَمَّ دَمْعُ مَحْدُودِ الْفَضَائِلِ وَالْمَثَرَى وَاسِعِ
 الْمَعْرُوفِ وَأَنَا أَقُولُ
 أَلَمْ تَسْمَعْ أَقْوَالَ النَّبِيِّ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْتَيْنَا مِنْ
 كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۝

✽ القدوة الحسنة ✽

ما من نبي أو عالم أو عامل إلا كان قدوة على حسب
درجته فاصبر واجتهد حتى تكون كالشمس وضوء النجم
الزاهر في ظلمات الدياجر لتكون شمساً يضيئ منهاها الناظرين
وسيرتك هدى وعلك نهراً للسايرين

أيها الطالب ان حر كانك وسكناتك وغدواتك ور. حاك
اساس يبنى عليها ومقدمات لتتأجج فاحذر الحذر كله ان
تكون قدوة سيئة للبين وكن خيراً القدي الخير لمقتدين
حتى يصدق علينا قول السموءل

اذا مات منا سيد قام سيد قوول لما قال الكرام فعول
لا يرين الناس منك الا كمالاً ولا يظلمون منك الا
على ما جل وحلا ولا تقمن عين منك على قبيح واصالح
السريرة واحسن الملازمة وذر المباهاة والملاحاة اشاقة
والمرء واظهر البشر وقل للناس حسناً وآت ذا القرب حقه
واعف واصفح ان الله يحب المحسنين

✽ عروج الرذائل ✽

ان السيل الاقوم والمنهج الاوضح في علاج الرذائل
مقاومة كل واحدة بضدها ، والتعود على تقيضها ، ومحاربتها
بعدها ، فالجهل بمزاولة التعليم ، والبخل بتكاف البذل ،
ومداومة العطاء ، الا ان للعادة لتأثيراً على النفوس الحيوانية
فضلاً عن الانسانية ، كم من حيوان اقتاد الانسان بالتعود
فسخره للركوب وامتطاه ، للحرب ، وذالته للعب ، وساقه
للحرث ، وصيره يسقي الزرع ، وقد كان قبل ذلك لا ذلول
يشير الارض ، ولا يسقي الحرث ، افليس الانسان ارقى من
الحيوان وقد علم البيان فكم من جبان ركب هول البحر
وهو مضطرب الحركات ، هائج الامواج ، فالف الصعاب
وصار شجاعاً ، وكم من بخيل تعود البذل فاعطى المال واكرم
النزيل ، حتى صار طبعاً مستلذاً ، وعادة مألوفة

عجب للعادة واي عجب ، ثقل المحبوب مكروهاً وترد
المألوف مبغضاً ، وتجعل السفية حليماً ، والحليم سفياً ، والجاهل

عالمًا والكاذب صدوقًا ، للمادة في النفوس عجائب الا ان
 للجوارح لاثرًا في النفوس ، وللنفوس أثرًا في الجوارح ،
 كالبحر يطره السحاب والسحاب من البحر ، وغاية التهذيب
 ان نصير الفضائل لذائد والردائل الاما

الا ان متكلف الفضائل مجاهد ، ومريد لا يزال على
 الصراط مسافرًا لم ينل بغيته ولم يحظ بنواله
 فانه فضل على القاعد الغافل ، والساهي النائم والفضل
 كل الفضل ان يصير المتكلف مرغوبًا ، والمكروه من
 الطاعات محوَّبًا ، قال في الحديث الشريف وجعلت قرّة
 عيني في الصلاة - الا وان قوام الامر وعماده
 (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
 فان الجنة هي المأوى)

﴿ النفس ﴾

الغض - ثوران يغلي به الدم فيرتفع في اعالي العروق
 فيجمر ظاهر البدن دفعًا للاذى قبل وقوعه وانتقامًا من

المؤذي بعد حصوله ، اذا ظن القدرة على خصمه فان بدا
 له الضعف تبدل الاحمرار اصفراراً وكر الدم راجعاً لاعماق
 الجسم هارباً من ايذاء الخصم ، وان تردد بين الاعتقادين
 وشك في الامرين ، تعاقب اللونان ، فاحمر ان قدر ، واصفر
 للخور ، فالدم كالجيش المحارب ' يقدم اقدام القادر ' ويحجم
 احجام الخائر ' (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)

والغضب اثار ظاهرة كتغير اللون وشدة الرعدة في
 الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام ، واضطراب
 الحركات والكلام ' حتى يظهر الزبد على الاشداق ' وتحمّر
 الاحداق وتقلب المناخر ' وتستحيل الحلقة وامرك ان
 قبج الله امر اثير اقبج الباطن ' وما الظاهر الا مرآة
 تجلت فيها صورة النفس وثمره ظهرت في شجرة اصلها
 ثابت في القلب ، وفرعها ممتد في الجوارح . عمل انطلاق
 اللسان بالاشتم والفحش من الكلام مع تخطيط النظم واضطراب
 اللفظ والافدام على الضرب والتهجم والتمزيق ، القتل والجرح
 عند التمكن حتى اذا عجز عن التشفي رجع الى نفسه فمزق

ثوبه وألم خده وضرب يده على الأرض وغدا كالواله
السكران ، والمدهوش المتحير ، وربما سقط فاغشى عليه
وقد يضرب الجراد ويخاطر الحيوان وربما رفسته دابة فرفسها
أو انكسر القلم فشججه كما يعامل العقلاء

هل هذا إلا من آثار اضطرام نيران القلب وصورة
من قبجه وكم له من صور تبرزها الأيام وتجليها الحوادث
مع المنضوب عليه كالحقد والحسد والشماتة بالساءات والحزن
بالسرور وافشاء السر وهتك السر والاستهزاء فهذه ثمرات
افراط الغضب

واما ما يضاده فالحمية الضعيفة وثمرتها فلة الاتفة
واحتمال الذلة وعدم الغيرة على الحرم والسيكوت عند
مشاهدة المنكرات من غيره والا يغضب على نفسه فيلومها
عند مقارفة الذنوب ومباشرة العيوب ، فلا يتوب فمن
ابتلى بذلك فليثر حميته ، فكل الطرفين مذموم والوسط ممدوح
اهدنا الصراط المستقيم

* لطيفة *

ضرب مثل لقلب الانسان بحال الارض

الا انما مثل قلب الانسان كمثل سطح الارض ان
 خبثت انبت القناد ، الشوك والحسك ، وخبث النبات
 يتغلب على طيبه ورديته على حبه ، وما مثل الحجر والحسد
 والشماتة والاحتقار والغيبة ، تلك الستر وايدئمه بالضرب
 وغيره الناجمة من الحقد النابت في ارض القلب الذي افسده
 الغضب ، الا مثل شوك السعدن شجر الطرفاء ونبات الخنظل
 والمليق ، اذا نبت في ارض لم يتعهدها مصاحبوها ، ولم يغم
 عليها اهلوها ، الا وان القلب ما جنة ذات رياض وفاكة
 وروح وريحان من علم نافع وحكمة صالحة

واما نار تستمر ، وحجم ترمى بشرر فيحترق الجثمان

وتنحل الابدان

أتق بيصرك في الفضاء ، وتأمل النبات ونعجب ألم
 تمر الى ذلك النبات الابيض المسمى بالمالوك الذي ينبت ما
 بين شجرات القبول فيمتص غذاءها ويبعد اثمارها وحبها تشابه

هذا العالم ، وكانت الارض مثل القلوب ، والقول مثل
الفضائل والمالهوك مثل سيئات الاخلاق ، كالحقد والحسد
ونحن ما زرعناه ، وانما هو النامي بنفسه ، المعتدي على نباتنا
المحبب لمادتنا ، المبيد لاغذيتنا ، الا وان ما ضر الناس نام
بنفسه وما نفهم يعوزه القيام عليه

فاذا ابتليت بمن آذك فلا تجعل للحقد عليك سبيلاً
واذل الرذيلة من قلبك كما تزيل الحشائش الضارة للزرع بعزقها
وافعل ما فعله ابوبكر الصديق رضى الله عنه فانه لما حلف
الا ينفق على مسطح قريبه وقد تكلم في واقعة الافك نزل
قوله تعالى (ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا
أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا
وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم)
فوصله بعد القطيعة وانعم عليه بعد الحرمان

✽ العجب وصيه وعلاجه ✽

العجب استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان
اضافتها الى المنعم ، فاما من كان خائفاً وجلاً مشفقاً من زوالها

ومن فرح بها من حيث انها نعمة من الله فليس بمعجب
 اما سيبه فالجهل واساسه الوهم الذي عليه تبنى قصور
 الهوى ومحاريب الجهل ' وتماثيل الفخار

فاما علاجه فان يعرف المرء ان ما تباهى به بين
 الاقران لا يخلو من احد امرين اما ما يدخل تحت اختياره
 ويظهر بعمله ويحصل بسعيه كالعبادة والصدقة واصلاح
 الامة وسياسة الجمهور وحشد الجنود ورفع البنود ' ونظام
 الموازين ' وتعليم الناشئين فهل جهل ذلك المسكين انه
 مخلوق ضعيف مركب من عناصر مقهورة مؤلف من امشاج
 في ماء مهين ' وماذا عمل ان هو الا الة مسخرة ' وطبقة
 محيرة وصورة مجندره وصنعة مدبره وآية مصفرة وعظمة
 وتذكرة ففاجر من فخره او شاكر من بره

واما ما لا عمل له فيه فان كان جمالا او قوة او نسباً
 او ميراثاً من كل ما لا اختيار له في حصوله ولا سبب
 اوصله اليه فان الامراهون والمعجب اذا اشد جهالة واخسر
 صنفة واقل فكراً وابعد ضلالاً واسوأ حالاً

ومن اجهل ممن يوجب بما لم يفعل وان المعجب مغتر
بنفسه آمن زوال نعمته حيث لا امان قتل الانسان ما اجهله

✽ تفصيل الاسباب ✽

الجمال . القدرة . العلم . النسب . الميراث . الملك .

✽ العلاج ✽

التأمل والتذكر والتدبر ، اذ كان الموت شامل والاعتبار
بمن مضى من الامم فاخلوا لدار فصارت قاعاً صاففاً
بعد العز والبأس ، ورسوخ الدالة ، وقام الزينة

✽ الاماريات ووانع الربى ✽

قال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا الحشيت عليكم
ما هو اكبر من ذلك ، العجب ، وقيل لعائشة ، رضى الله
عنها متى يكون الرجل مسيئاً قالت اذا ظن انه محسن
وقال الله تعالى (ويوم حنين اذ أعجبتمكم كثرتكم ، فلم
تغن عنكم شيئاً وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
هوى مطاع وشح متبع واعجاب المرء بنفسه)

✽ الكبر ✽

الكبر أن يرى الانسان نفسه فوق غيرها بعلم حصله
او عمل اثقه او اصل نسب له او جمال اطفاه او مال
الغاه او قوة اعزته او عشيرة نصرته ، فهذه اسباب تدعو
اولا للاعجاب ، بنفسه ، واستحسانه صفته ، والفرح بها
يراه اهلاله ، من صفة الكمال والجمال ، وقد يكون لحقد
ملاً فؤاده ، او لحسد اغضبه ، او لرياء اعتراه ، فهذه
اربعة اسباب تدعوه للكبرياء اما العجب فقد تقدم ذكره
وسبق شرحه

اما من حقد على من آذاه ، واضمر له سوء واستبطن له ،
الشرفانه يتكبر عليه ويزدرجه ، وهكذا الحاسد على النعمة
الفاقد للفضيلة ، والمرئي الذي يطلب الرفعة والسودد ،
انه لا يقبل العلم امام الجالس ، ولا يقرب بالفضيلة للمحسودين
ولا يسمع النصيحة في ملاً من العالمين

✽ العلاج ✽

فليعالج المتكبر نفسه ، بالعلم والفهم ؛ وليتذكر انه مكون

ضعيف مربوب ، وابواظب على اعمال المتواضعين ، ويحقر
 التنزل والمذلة والابتدال ، فاذا تقدم لآخوانه وقرنائه فسوى
 نعالهم ، واكرم مشواهم ، وسارتم ، وسرتم ، وغدا الى باب
 الدار معهم ، فهو المتواضع ، وان تنزل الى اسفل الدرجات ،
 وعامل من تحت درجته معاملة اخوانه ، أو اخذ يتعاق ،
 او يتذلل ، فقد تنزل الى الاسفل ، واضحى من المتبدلين
 فليعالج المتبذل نفسه ، برفها ولينف المتكبر أسباب
 كبريائه من الحسد القاتل ، والحقد المكين
 * ذم الكبر وايضاحه *

الكبر شجرة اصلها ثابت في القلب ، وفرعها في الجوارح ،
 وثمرتها في الاعمال ، كان يترفع عن مجالسة نقابره ، ويأقف
 من مخالطته ، ولا يساويه في مجلسه ، واذا ناظره عنف ، وان
 كله انف ، ويتقدم عليه ان ماشاء ، ولا يقبل منه نصيحته
 ان هداه ، وهذا الخلق غائلة العباد والزهاد ، وبلية الوعاظ
 والعلماء ، فضلاً عن العامة الجهلاء ، وهو اعظم المن ، واكبر
 البلايا والاحن ، قال صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة

من في قلبه مثقال ذرة من كبر) والانسان ظلوم جهول قد يسوقه الغرور للتكبر على الله فيقول انا ربكم الاعلى . وقد يرى نفسه احق بالرسالة ، واولى بالشفاعة ، فيقول ولم أرسل المرسلون ، واصطفي النبيون ، ومنع من تلك النعمة فلا يجع نبياً ولا يرى له رسولا . وقد يرى الناس دونه خللاً ، والعامه حميراً ، فيعظم خطبه وينفحش ذنبه

✽ الفرق بين العجب والكبر ✽

المعجب ' يرى ' مدلاً بنفسه ' فرحاً بسمته ، وان كان غيره اسمى في نظره ، واعظم في معتقده . والتكبر اعظم جرماً واكبر اثماً فهو يريد ان يرى غيره دونه وهو القاهر فوقهم وقد ذمه الله تعالى فقال (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الفبي يتخذوه سبيلاً ذلك بان كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين وقال والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا

يدخلون الجنة حتى يابح الجمل في سم الحياط وكذلك فنجزيه
 المجرمين (وقال عليه السلام (اللهم اني اعوذ بك من نفخة
 الكبرياء) وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ان
 نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال اني آمر كما
 بآتين وانها كما عن اثنتين انها كما عن الشرك والكبر وأمر كما
 بلا اله الا الله فان السموات والارض ومن فيهن لو
 وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة
 الاخرى كانت ارجع منهما ولو ان السموات والارض وما
 فيهن كانت حلاقة فوضعت فيها لا اله الا الله لقصمتها ثم
 أمر كما يسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء) وقال
 صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطراً)
 وروى عنه عليه السلام انه (بصق يوماً على كفه ووضع
 اصبعه عليها وقال يقول الله يا ابن ادم اتعجزني وقد
 خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين
 بردين والارض منك وجيب جمعت ومنعت حتي اذا بلغت
 التراقي قلت انصديق وانى اوان الصدقة)

✽ الحسد ✽

الحسد هو كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه
ومن ثنى مثل نعمة غيره فهو الغابط والمنافس وهو ليس بحاسد

✽ أسبابه ✽

(١) العداوة (٢) التعزز (٣) الكبر (٤) العجب (٥) الخوف
من فوت المقاصد المحبوبة (٦) حب الرياسة (٧) حب النفس وبخلها
فيثور الحسد في النفس على مقتضى الاسباب

فمن كره امرأ ثقلت عليه نعمته وسرته بليته واستعذب
شقائه ومرت عليه حلاوته ومن لم تلبث شرته دامت حسرته
وكم من امرئ كانت نعمته الموهوبة وسعادته المستحدثة
وسيلة الاستعلاء فيثور الحسد في قلب قرينه ويأبى الا التعزز
عليه فلا يخضع لاستطالته ، ولا يصغر لعظمته ومن كانت
الكبرياء صفة نفسه لم يستطع ان يرى المتكبر عليهم ، يساوونه
ولم يطاق صبراً على نعمة لهم حدثت وسعادة اقبلت ، ليبقى
عليهم ظاهراً وفوقهم قاهراً ذلك بسبب الكبر الذي في

نفسه ، وان لم يتعاضوا عليه وكم من فتى اثار الحسد في قلبه ، واشتعل نيرانه والهيب سعيده ، تعجبه من ترادف النعم على من يخالفونه ، واستغرابه من تتابع المواهب وتواصل المنع وتوارد اللطائف وقد يشفق من زوال محبوب يتغيبه او فوات مطلوب يرتجيه ، اذا ذاق معارفه نعمة من بعد خراء مستهم فينافسونه على مطالبه ، ويزاحمون في سلوك سبيله ، كارض يملكها او عرس يبنى بها ، او درجة يرقاها او نعمة يلقاها ، ومن الناس من يحسد حبا للرياسة وما ينشاه من وهن سلطانه ، وانقضاض بنيانه ، وتقويت عزه واستقلاله واخرون خبث نفوسهم ، وضل سعيهم اذ يحسدون الناس على ما اناهم الله من فضله بلا سبب الا مرض نفوسهم وشحها وسوء طويتهم ، يودون ان لو منع الله الرحمة عن العباد لا يطلبون الانفراد بها ، ولا السيادة على غيرهم ولكن انفسهم ضيقة العطن ، عديمة الفطن قليلة الخير ، مية الافئدة اولئك هم الحاسدون الضالون

وكما تضافرت الاسباب بالاجتماع في المجالس ، والتحاور

في المنازل ، والاشتراك في الحرمه والاقتراب بالنسب او
 المصاهرة ، كان اضطرار نار الحسد اشد ، وامتداد لهيها
 أسرع وازداد سميرها ، وطنى شررها وغلت راجلها فزاد
 احراقها للمواد المحبات وابادتها للذات المودات ، وكانت الحياة
 حياة الاشرار اذ ذاك شراً وبئلاً ، وعذاباً اليماً قال صلى
 الله عليه وسلم (الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب)
 وقال عليه السلام (لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا
 ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً) وقال انس كنا جلوساً
 عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (بطلم عليكم من
 هذا القبح رجل من اهل الجنة ، فطمع رجل من الانصار
 بتطاول لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه في بده الشمال فسلم
 فلما كان بعد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطمع ذلك
 الرجل وقاله في اليوم الثالث فطمع ذلك الرجل فلما قام
 النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص
 وثلاثة ايام في بيته ، فلم يجدته يصلي بالليل فاحتقر
 عمل الرجل ، فسأله ما الذي بلغ بك ، فقال هو ما رايت

غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشاً ولا
 حسداً على خير اعطاه الله اياه ، قال عبد الله ، فقلت هي
 التي بلغت بك وهي التي لا نطبق (وقال صلى الله عليه
 وسلم) ثلاثة لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد
 وسأحدثكم بالخروج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا
 نظرت فامض - واذا حسدت فلا تبغ (وقال الشاعر :

يا احمد افنع بالذي اوتيته ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
 واعلم بان الله جل جلاله لم يخلق الدنيا لاجلك كلها
 لا تسلط على قلبك نيران الحسد التي يشيرها اسبابها
 وتفكر في مصائبه ووراثته ، وما ينجم عنه من العذاب
 الاليم في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة اشد وابقى

ومن ابتلى بالحسد والعياذ بالله كيفما كانت اسبابه تقطعت
 به الاسباب وازرى به الكمد وتنقص عيشه الا ترى
 ان نعم الله مترادفة لا ينقطع مددها ولا ينفذ خيرها ، ومن
 ذا اشقى ممن عد نعم الله شقاء عليه وجنته نار عذابه ، ودار
 شقائه فهل يمسك الله المطر خشية عليه او يمسك الكواكب

لثلا ينقطع فؤاده .

فأشمس والقمر والنجوم والجبال والأرض والأنهار مسخرات
للمعبد ، وهنائهم وراحتهم وسعادتهم ، فسبحانك اللهم أشقيت
قلوباً بالرحمات ، إذ نسوا أنفسهم فتاهوا في أودية الضلالات
فعدوا نعم الله عليهم نقماً ، وحسبوها لهم شقاء دائماً فما أكثر
نعم الله وما أدوم شقاءهم . وقلت

وفي القلب نيران وفي القلب جنة

وما أكثر الآلام إلا من الفكر

وكفى الحاسد عذاباً أنه معذب بنعيم غيره ، معاقب
على الحسد بنفس الحسد ، فذلك كان طول الحياة له شقاء
وموته راحة له ، فكما يتمنى الحاسد زوال نعمة المحسودين
يشقى غالب صدور محسوديه أن تطول حياته فيطول عذابه
كما قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد
لا زلت محسوداً على نعمة فانما الكامل من يحسد

✽ الثبات والعزيمة ✽

الثبات المداومة على العمل والعزيمة من احوال الارادة
والثبات حال داعية لادامة العمل الى النهاية
كم في الناس من عامل ، وقل اولو العزم ولم ينل الرغائب
ويحفظ بالمطالب الا من صحح العزم وشمر عن ساعد الجهد
وامتطى العمل .

حراك المعالي في اقتحام المخاوف ونيل الاماني في ارتقاء التثاقف
وما نال مجداً من اذار عروسه وباتت نعاطيه سلاف المرافف
وقد قلت

الى ذروة العلياء يا سائق الحرف فاني شمت اليوم منها هذا العرف
وما جمع امروه امره وجد في طلب ما يروم ، الا
خضعت له الامال ودانت له المعالي وفاز بالسعادة والكمال
وتأمل كيف مدح الله اولى العزم فقال (فاصبر كما صبر
اولو العزم من الرسل) وقص عليه انباءهم وكان قصارهم
امرهم انهم فازوا بالسعادة هم والتابعون وخسر اولئك الجاهلون

✽ الصبر ✽

الصبر ثبات الباعث للخير والفضيلة في مقابلة الباعث
للاشر والرذيلة وذلك ان الانسان يشارك الدواب في الشهوة
والغضب ، وليس للصبي ولا للمجنون ولا للبهائم من داع
يدعو لقهر الشهوات ، ولا من رادع يردع عن اللذات ،
الا انما يظهر جهادهما وبين التفاضل عنهما والتخلي من غائلتهما
لمن عقل واستبصر وادكر وتفكر ورأى سبيل الرشد فاتخذ
سبيلاً وسبيل الفيل فلم يتخذ سبيلاً

و بذلك يمتاز العاقل من الانسان ، عن المجنون والصبي
والحيوان ، فالحيوان اسير شهواته والعاقل من الانسان عليم
بما يعقب الامر من الاذلال وما يحجر من الوبال وهناك
تبتدي داعية المجاهدة وتولد في النفس حال تدعو للمقاومة
والمناضلة فهذه الحال هي المسماة بالصبر الناجمة من العلم
والهداية الداعية لترك الضلال والغواية الا وان العلم بمغبة
الشهوات وغائلة اللذات باعث لقيام حال النيات بالانفس

ونلك الحال ثمر الاعمال فالعلم شجرة والاحوال اغصانها
والاعمال اثمارها

﴿ اسماء الصبر ﴾

الصبر في الاخلاق كالحديد في الصناعات والملح في
الطعام ، فلا ترى طاعة ولا خلاقاً حسناً الا والصبر مفتاحه
وعماده وقوامه الا ترى كيف شمل الاعمال البدنية والاحوال
النفسية فمن احتمل المرض والالم والجراح المصيبة وقام
بالاعمال الشريفة في عبادة يقيها او زراعة يتقنها او صناعة
يحسنها او تجارة يديرها او ارادة ينظمها فهو من الصابرين
في النوعين . الاحتمال والاعمال

﴿ العفة ﴾

ومن زكى نفسه بالتباعد عن مقتضى شهوتي البطن
والفرج فهو العفيف ، حتى لا بطيع داعي اللهو والزينة ولا
يتداني من الهرمات ، ومن تعالت نفسه عن الخضوع
لنائبات الدهر سمى صابراً ، والا فهو الجازع والمملوع ، برفع

الصوت وضرب الحد وشق الجيب

✽ ضبط النفس والبطر والمرح ✽

واذا لم تستفزه داعيات الغنى ، فهو الضابط لنفسه ،

والا فهو البطر والمرح

✽ الشجاع والجبان ✽

وان قاوم الاقران في ساحة الحرب والميدان فهو

الشجاع ، والا فهو الجبان . وان كظم غيظه ، ولزم السكينة

عند احتياج الغضب ، فهو الحليم والا فهو الاحمق السفیه

✽ كتم السر وافشاؤه ✽

واذا اخفى الكلام لاقتضاء المقام ، فهو الكنوم للسر

والا فهو المفشى للاسرار

فان اطمانت نفسه فلم تجزع على فضول العيش ، فهو

الراضي والا فهو الحريص

✽ القناعة والشره ✽

ومن اكتفى بالقليل فهو القنوع ، وضده الشره ، فانت

من هذا ترى ان الصبر ما ترك بابا من الاخلاق الا ولجه
ولا خصلة الا قرءها ، فهو جدير بقوله صلى الله عليه وسلم
لمن سأله عن الايمان (هو الصبر)

ولما كانت احوال الانسان لا تخلو من مكروه يجمله
او محبوب يشكر عليه ، روى ابن مسعود انه صلى الله عليه
وسلم قال (الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) ولما
كان المصبور عليه اما شهوة واما غضب ، كان الصوم صبراً
عن شهوتي البطن والفرج ، لا الغضب ولذا ظهر سر قوله
صلى الله عليه وسلم (الصوم نصف الصبر) فيكون الصوم ربع
الايمان ، وقد يراد بالايمان ما يشمل العلم والعمل ، ولا عمل
الا مع الصبر تركا او فعلا ، فيكون الايمان راجعاً ليقين
وعمل على مقتضاه ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم (من
اقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، ومن اعطي حظه منهما
لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ، ولان نصبروا
على ما اتهم عليه احب الي من ان يأتي كل امرئ منكم
بمثل عمل جميعكم ، ولكني اخاف عليكم ان تفتح الدنيا

عليكم بعدي ، فينكر بعضكم بعضاً وينكركم اهل السماء
عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ، ظفر بثوابه . ثم قرأ قوله
تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق)

وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان
فقال (الصبر والسماحة) وقال صلى الله عليه وسلم (الصبر
كنز من كنوز الجنة) وعن عطاء عن ابن عباس قال لما دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أموه منون اتم فسكتنا
فقال عمر نعم يا رسول الله . قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر
على الرخاء ، ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال صلى
الله عليه وسلم اموه منون ورب الحمية) وقال تعالى (والصابرين
في البأساء والضراء وحين البأس) اي المصيبة والفقر
والحرب

✽ لطيفة ✽

الصبر واحد وانما اختلفت الاسماء لاختلاف المواطن ،
كضوء الشمس يسطع على الاشجار والازهار ، والثمار فاختلفت
الالوان ، لتعدد الاشكال ، واحذر ان تضل في الاتفاظ

وارع المعاني واحذر شبهات الاصطلاحات الواردة .

❖ الشجاعة ❖

الشجاعة هي الاقدام على الاهوال مع الروية والتدبير ،
ومن اقدم بلا روية أو أحجم ، وقد فاجأ العدو فليس
بشجاع ، وإنما هو في الاولى منهور وفي الثانية جبان ضعيف .
الشجاعة احد الاركان الاربعة ومنزلة منها منزلة الجنود
من الممالك ، والحصون من الامصار ، ولكم تمده شعراء
الشرق والغرب بالشجاعة ، وحضوا عليها اسمهم ، فالعظيم من
لبس تاجها ، والوضيع من حرم فضيلتها ، وحيل بينه وبينها ،
الرجل الضعيف القلب الجبان مهضوم الحق مقصوص
الجناح ، لا يقضون له حاجة ولا يسمعون له قولاً ، الجبان
اشبه شئ بالدجاجة يؤكل لحمه وهو مهين ، والشجاع كالاسد
يحترم ويحرم اكله ، وهو مصون ، وما من امة فقدت
شجاعتها واستسلمت ونامت على فراش الراحة الوثير الا ضرب
الله عليهم الذلة والمسكنة وبارأ بفضب من الله ، ذلك

ياتهم قوم مستضعفون ، ألم تر الى عمرو بن كلثوم ، حين
 قالت هند ام عمرو ملك العرب ليلي بنت المهلهل بن ربيعة
 اخي كليب وائل ام عمرو بن كلثوم يا ليلي ثاولي الطبق
 كيف نحمل ابن كلثوم وقتله وقال في معلقته

(ابا هند فلا تعجل علينا * وانظرنا نخبرك اليقيننا)
 (باننا نورد الرايات بيضا * ونصدرهن حمرا قد روينا)
 (رباي مشيئة عمرو بن هند * نكون لقباكم فيها قطينا)
 ومنها

(لنا الدنيا ومن امسى عليها * ونبطش حين نبطش قادربنا)
 (بغاة ظالمين وما ظلمنا * ولكننا سنبداً ظالمينا)
 افراط وغلا هنا في القوة الفضوية ، وتجاوز الحد كرهير
 وعنته فيما سيأتي وهذا مذموم كالجن .

الجن مذموم والتهور مذموم والشجاعة الوسط وقال زهير
 (ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم)
 ثم انظر كيف قتل جساس البكري كليباً التغلبي ، بناية
 سعد جارهم ، وكيف طلب التغليون من البكرين قتل

جناس قاتل سيدهم ، فاخذت مرة ابا جناس العزة بالاثم ،
 وابي تسليم القاتل ، فكانت الحروب الشواء والداوية الدهماء
 وتغاني الحيان بكر وتقلب

هذه صفة شجاعة العرب الجاهلية الاولى اذ كانوا
 يحدون الذمار ويدفعون العار ، ويوقدون النار ، ويحفظون
 الجار ، تلك فضيلة واي فضيلة ذلك شرف واي شرف ، نخر
 واي نخر ، ولكنه مصحوب بالجهل تابع لنزعات الشيطان ،
 ناصر للزور والبهتان ، فكانت الحاجة داعية الى ما يقوم
 معوجها ، وبصالح فاسدها . ولو تبصرت احوال بلادنا اليوم
 لرايت الحجة فيها جاهلية ، والنصر تابعا للعصبية لا للعدل في
 القضية ، فترى الناس سكارى في تشاجرهم وما هم بسكارى
 ولكن الجهل عظيم .

فنحن اخرج الى عقل بقومنا ، وتمسك بالدين يرجعنا
 الى الحق والصواب .

الا تعجب كيف جاء القرآن فوجه شجاعة العرب
 الى الوجهة العامة والفضيلة الشريفة ، فقال تعالى (ونضع

الموازين انفسط ليوم القيامة فلا تقلم نفس شياً وان كان
 مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين (وقال
) يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو
 على انفسكم (الى اخر الالبه ولقد مدح الاعتدال في القوة
 اذ قال (اشداء على الكفار رحماء بينهم) ونفر من
 الظلم . فقال (فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) بذلك
 ذهبت تلك الحمية حمية الجاهلية الاولى ، لجمة المكانية الوقتية
 واستبدات باحسن منها وهي الشجاعة ، التي بها دوخوا المعصورة
 شرقاً وغرباً .

وقد ذم الله رذيلة الجبن فقال (وقالوا لا تنفروا في الحر
 قل نار جهنم اشد حرّاً لو كانوا يفقهون وليضحكوا قليلاً
 وليبكوا كثيراً) ما اشأم ايام الامة الخائرة العزيمة الضعيفة
 القوي ، المينة الصبر تضاحكها الايام قليلاً ، وهم على ارائك
 الراحة متكئون ، وتبسم لها ثور الزهر على اشجار الخيطل
 في ساحة العيش المنى ، حتى اذا وقعت الواقعة ، وقرعت القارعة
 وحكت القنا والفضب في اعناق الرجال ، عبت الايام بعد

ابقسامها ، وذاقوا مر الحنظل فقطع امعاءهم بعد ان رافهم
 منظره الزاهر ، واطلهم ورقه الناضر ، فلما نسوا ما ذكروا به
 فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
 بغتة فاذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين رضوا بالظلم
 واستناموا للخسف فاصبحوا في ديارهم صاغرين

ليست الشجاعة قاصرة على القتال والذب عن البلاد
 بالحرب . كلا فليس يتم للناس عمل الا بقوة القلب وتحمل
 المكروه في قول الحق ، وما من عالم الا ابتلى بمن يشنؤه .
 ان ينقض ببيان البدعة فتقام على انقاضه قصور السنة
 الا بقول الحق ولو كره الحاسدون . وان تموت الرذيلة ونحيا
 الفضيلة الا اذا قاوم المصلحون تلك العقول الجامدة ، وهزموا
 صفوف تلك النفوس الحامدة .

واعلم ان الشجاعة في مقال الحق لاعلى مناراً وارفع
 شأنها واشرف منالاً من اقتحام الهيجاء ، والحرب قائمة والرماح
 مشرعة ، والسيوف مصانة ، الا ان العالم بقوله يصلح الالوف
 والالوف . ولذلك كانت الصديقون اعلى من الشهداء مقاماً

واقرب الى الانبياء مجلساً

الا احذثكم ايها الطلاب بمحدث السلف الصالح رضى
الله عنهم ورضوا عنه اذ كانوا يصدعون بالحق وبه يعدلون -
كابي بكر الصديق وطاووس اليماني وسفيان الثوري وعطاء بن
ابي رباح وابي حازم وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . اولئك الذين
هدى الله فقالوا الحق وصدقوا في المقال ولم يخافوا لومة لائم
ولم يخشوا الا الله

روى عن ضبة بن محسن المزني ، قال كان علينا
ابو موسى الاشعري اميراً بالبصرة فكان اذا خطبنا حمد الله
واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وانشأ يدعو
لعمر رضى الله عنه قال فقاطني ذلك منه فقلت اليه فقلت
له اين انت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جماً ثم
كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محسن المزني
يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي ،
قال فاشخصني اليه فقدمت اليه فضربت عليه الباب فخرج
الي فقال من انت فقلت انا ضبة فقال لي لا مرحباً ولا

اهلا قات اما المرحب فمن الله واما الامل فلا اهل لي ولا
 مال فبماذا استحللت يا عمر اشخامي من مصري بلا ذنب
 اذنبته ولا شيء انبته فقال ما الذي شجري نك وبين عالي
 قال قلت الان اخبرك به انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى
 عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انشأ يدعو لك
 فعاظني ذلك منه فقلت اليه وقلت له اين انت من صاحبه
 تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال
 فاندفع عمر رضى الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق
 منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت
 غفر الله لك يا امير المؤمنين و قال ثم اندفع باكيا وهو
 يقول والله لايلا من ابي بكر و يوم خير من عمر وآل عمر
 فهل لك ان احديثك بليته و يومه قلت نعم قال اما الليلة
 فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من
 مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر وجعل
 يمشي مرة امامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة
 عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا

يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك فقال يا رسول
الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك
ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة على اطراف اصابعه حتى حفت
خلما رأى ابو بكر انها قد حفت حمله على عاتقه وجعل يشتد
به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا
تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال
فدخله فلم ير فيه شيئاً فحمله وادخله وكان في الغار
خرق فيه حبات وافاع فاقمه ابو بكر قدمه مخافة ان
يخرج منه شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبوذبه
وجعلان بضربن ابا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر
على خديه من الم ما يجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول له يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله السكينة
عليه والطمأنينة لابي بكر فهذه ليانه

واما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحدثت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نركى فاتيته لا آلو

نصحاً فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تألف
الناس وارفق بهم ، فقال لي اجبار في الجاهلية خوار في
الاسلام ؟ فيماذا اتألفهم ؟ قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم فارثع الرحي ، فوالله لو منعوني عقلاً كانوا يعطونه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه قال فقائلنا
عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه .
ثم كتب الى ابي موسى يلومه .

اما طاووس البجلي فانه كان من التابعين وكان من
حديثه مع هشام بن عبد الملك ، اذ اتى المدينة ان قال
له هشام عظمي ، فقال سمعت من امير المؤمنين علي رضي
الله عنه يقول ، ان في جهنم حبات كالقلال وعقارب
كالبعال تلدع كل امير لا يعدل في رعيته .

واما سفيان الثوري ، فقد كان من حديثه انه لما دخل
على ابي جعفر المنصور . غنى ، قال له ابو جعفر ارفع البنا
حاجتك ، فقال انما نزلت هذه المنزلة بسيف المهاجرين
والانصار ، وابناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله ، واوصل اليهم

حقوقهم ، فطاطأ المنصور رأسه .

واما عطاء بن ابي رباح ، فانه لما دخل على عبد الملك ابن مروان ، وهو جالس على سريرہ واجلسه معه عليه ، قال ما حاجتك ؟ فقال يا امير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعده بالعمارة ، واتق الله في اولاد المهاجر بن والانصار ، فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وثقت امور المسلمين فانك وحدك المستول عنهم

واما ابو حازم فانه لما سأل سليمان بن عبد الملك بقوله اي الكلام اسمع أجابه قول الحق عند من تخاف وترجو قال فاي المؤمنين اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع اخرته بدنياه

واما عمر بن عبد العزيز فانه كان يوماً مع سليمان ابن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره في مندة الرّحل قال عمر هذا صوت رحمة فكيف اذ سمعت صوت عذابه

قيل ان عبد الملك بن مروان خطب يوماً بالكوفة فقام
 اليه رجل من آل سيمان فقال مهلاً يا امير المؤمنين اقص
 لصاحبي هذا بحقه ثم اخطب . فقال وما ذاك فقال
 ان الناس قالوا له ما يخلص ظلامتك من عبد الملك الا
 فلان فجئت به اليك لانظر عدلك الذي كنت تعدنا به
 قبل ان تتولى هذه المظالم . فطال بينه وبينه الكلام فقال
 له الرجل يا امير المؤمنين انكم تأمرون ولا تأثمرون . تنهون
 ولا تنهون وتعظون . لا تعظون افنتدي بسيرتكم في
 أنفسكم ام تطيع امركم بالسنتكم . فان قلت طيعوا امرنا
 واقبلوا نصحتنا فكيف ينصح غيره من غش نفسه وان قلت
 خذوا الحكمة حيث وجدتوها واقبلوا العظة ممن سمعتموها
 فعلام قلدناكم ازمة امرنا وحكمتناكم في دمائنا واموالنا ما
 تعلمون ان منا من هو اعرف منكم بصنوف اللغات وبلغ
 في العظات . فان كانت الامانة قد عجزت عن اقامة العدل
 فيها نفلوا سبيلها واطلقوا عقالها يتدبرها اهلها الذين قاتلتهم
 في البلاد وشتمت شملهم بكل واد . اما والله ان بقيت في

يديكم الى بلوغ الغاية واستيفاء المدة لئلا تضحن حقوق الله
وحقوق العباد فقال له كيف ذلك فقال لان من كلمكم
في حقه زجر ومن سكت عن حقه فهر فلا قوله مسموع
ولا ظلمه مرفوع . لا من جار عليه مردوع وبينك وبين
رعيته مقام تدرب فيه الجبال حيث ملكك هناك خامل
وعزك زائل وناصرك خاذل والحاكم عليك عادل فاكب عبد
الملك على وجهه بيكي ثم قال له فما حاجتك فقال عاملك
بالسمارة ظلمني وليله نحو ونهاره لغو ونظره زهو فكتب اليه
باعطائه ظلامته ثم عزله .

قال الجاحظ في كتاب البيان والبنين حدثنا يزيد بن
هارون قال اخبرنا هشام بن حسان عن الحسن ان زياداً بعث
الحكم بن عمرو على خراسان فاصاب مفعماً فكتب اليه زياد
ان امير المؤمنين معاوية كتب الي بأمرني ان اصطفي له
كل صفراء وبيضاء فاذا اتاك كتابي هذا فانظر ما كان من
ذهب وفضة فلا تقسمه واقسم ما سوى ذلك

فكتب اليه الحكم

الى وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين
 ووالله لو ان السموات والارض كانتا رثقا على عبد فانق
 الله لجعل الله له منهما مخرجاً والسلام ثم امر المنادي فتادى
 في الناس ان اغدوا على غنائكم فقسحها بينهم
 ولنا نحمد من ضية ومن بعده صدقهم ولكن لانشاد
 الناس مشادتهم قل الحق وتلطف لا تكن فظاً فلكل مقام
 مقال وللإسلام مواطن

ولقد جرب الناس قديماً القول فرأوا انجمه في العقول
 الطفه وانفعه في النفوس اجمله ، قال تعالى لموسى وهارون
 عليهما السلام (فقولاً له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى)
 وقال تعالى على لسان نبيه عليه السلام (وانا واياكم املى هدى
 او في ضلال مبين)

فاياك ان تقلد كل ما تسمع بل اعرض كل شي على
 كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتذكر قول الله
 تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك
 قاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) واذا قرأت

في تاريخ اليونان ان سولون الحكيم قابل اكرسيوس في مملكة
 ايدبا وهو في ايمته وسلطانه وعظمته متجملًا بانحر الثياب
 متجملًا هو واعوانه وارباب دولته بانواع الحلى الملكية والجواهر
 الغالية الثمينة فقال اكرسيوس لسولون هل رأيت احداً
 يلبس ملايسي فقال نعم الديوك الاهلية والبرية والطاروس
 فغضب ثم قال هل رأيت احداً اسعد مني فقال الملك
 طيلوس من اهل مدينة اثينا مات سعيداً فرير العين بنصرة
 وطنه واتقد حزن عليه سائر البلاد فهذا اسعد منك ويليه
 اخوان اسم احدهما كليوبيس واسم الاخر بيطون ، كانا
 قاضين صالحين اكرماهما الصالحة حتى انهما جرا عربتهما
 الى المعبد فدعت لهما واثنى الناس عليهما فماتا صالحين مرضياً
 عليهما من الله والناس وعند ذلك غضب اكرسيوس وظن
 ان سولون مجنون ثم عرف له فضله بعد حين وضع على النار
 ليحرق فصرخ بقوله (سولون) فزحزح عن النار وساله الملك
 عدوه فاخبره بما جرى له مع سولون فانخلم قلبه واطلقه
 واذا سمعت عن ذلك الحكيم الهندي بيدبا مؤلف

كتاب كابلية ودمنه ، وقد دخل على ملك الهند واغماظ له
 في القول وقال لقد ظلمت الرعية ، واضعت ملك ابائك
 وخربت البلاد ، واضعت العباد فحبسه ثم اطلقه وولاه
 الملك بعد حين . فاعلم ان هؤلاء قالوا الحق ووطنوا
 انفسهم على المكاراة فخذ من انوار ضوئها واعتدل في قولك
 وقاسمهم في قول الحق واصلاح شأن الامة واعدل عن
 الشتم فذلك خير واحسن تأويلاً واقراً قوله تعالى (وقل
 لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان
 الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً) وقوله (وقولوا للناس حسناً)
 وقوله (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن
 فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا
 الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) وقوله تعالى
 (وابتلطف)

واعلم ان الاطباء انما يضعون الدواء المر في غلاف
 ليسهل تعاطيه فلنكن اطباء صالحين .

وإذا رأيت نفسك خائفة القوة هيابة تفر من الظلام

وتفزع من الاحلام فسلط على الجبن ضده وايضا نفس
من خمولها وخمودها وحركها الى الانفة والشحم والاباء
وعدم تحمل الضيم وافعل ما حكاه ابن مسكويه عن بعض
المتفلسفين انه كان يعتمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل
نفسه على المخاطر العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند
اضطرابه وهياجه ليعود نفسه الثبات في المخاوف ويجمع منها
القوة التي تسكن عند الحاجة الى حركتها ويخرجها عن
رذيلة الكسل ولواحقه .

واقدر كنت وانا بالجامع الازهر الشريف اقرأ هذا
الكتاب فاخذت اعلم نفسي علم الشجاعة كما في ابن مسكويه
وما احسن مدارس التعليم فليكن للفضيلة الشجاعة التعاليم
العسكري ، وبعض الامم المتحضرة تعلم ابناءها عموماً النظام
العسكري كما في سويسرة الا فلتفعل مصر ذلك كما اوضحنا
في كتابنا نهضة الامة وحياتها الذي قصدت به نظام الامة
علماً وسياسة وعملاً

فلمعرك ان الجبن سجن المترفين ، فيدهم باغلال وصفدهم

في الادام ، ولعلمكم قرأتم كتاب السبق والرعي في علم الفقه
والناس غافلون لا يعلمون لم وضع هذا الباب وما أغفل
المسلمين اليوم عن هذه الفضيلة

فاذا لم توفق الحكومات الناس فليقم الافراد بتربية
ابنائهم ليدلومهم على فطرم الانسانية فذلك ابقى للامم واحسن
واشجع الافراد فاذا ماتت الشجاعة حل محلها الجبن واستولى
الترف وحق بالناس الهلاك (واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)
* * *

(١) اذكر شجاعة العرب الجاهلية (٢) قارن ما بين

حال المصريين اليوم وحال العرب الجاهلية في الشجاعة

(٣) ماذا ترى في الشجاعة الوقتية المكانية هي نافعة للامم (٤)

وماذا يجب على مربى الامة المصرية في شجاعتهم (٥) قارن حال

انتقال الامة العربية من حمية الجاهلية بحال تربيتنا المصرية

الآن (٦) ما قصة خبة مع عمر بن الخطاب وما ترى في

شجاعته الادبية (٧) اعط فكرة عامة على الشجاعة الادبية في

صدر الاسلام (٨) قارن ذلك بحالنا اليوم (٩) ما دواه
 الجبن (١٠) هل تستتج من الابواب السابقة في الكتاب
 اسباب الشجاعة وعلاجا اخر للجبن (١١) اذا قسا المعلم
 على التلاميذ فماذا تكون شجاعتهم (١٢) اذا قهرت الحكومة
 الامة وقست عليها فماذا تكون حال الامة (٣) ماذا
 يجب على المعلمين وعلى الحكام حتى لا يمتنوا الشجاعة
 * الكرم والبخل *

من ادى من ماله واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة
 به فهو الكريم ومن قصر فيما وجب عليه منهما فهو البخل
 فمن شاح في المحقرات وضائق في الصغائر والهناات مع الخدم
 او اطال في مشاحنة عياله واهله او قربه على نفقة وسم
 بالبخل ولا قيد يحصر اقسام البخل واوصاف البخلاء الا
 العادة والعرف فلا قد ينفق الرجل كثيراً ويشع باقليل فيحسب
 بخيلاً فانه قصر حيث ينبغي الايفاء ومنع حيث يجدر الاعطاء
 لا كرم الا حيث يكون البذل محبوباً والعطاء مرغوباً
 حوالا فنكرم ونكلف

سبب البخل غلبة الشهوات وطول الامل ورحمة الولد
 وخوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق وعشق المال لذاته
 من غلبت عليه شهواته فليعلم انها نار تلظى مهما امدھا
 بالوفود احتدم وطيسها وغلت مراجلها وارتفع لهبها وقالت
 هل من مزيد ومن طال امله فليتذكر الاخوان والاقربان
 الذين طعموا كما طعم وجمعوا كما جمع ثم اختطفهم المنون وهم
 عن التذكرة معرضون ومن جمع الولد فليعلم انه ان يكن
 من المؤدبين المتعلمين فقد عاش كما يحيا المجتهدون والله في
 خلقه شؤون وان كان ممن ارتطموا في احوال الشهوات
 وباعوا انفسهم للموبقات وعكفوا على اللذات فالمال طامة
 كبرى وافة عظي ومجلبة لشقائه وزيادة في بلائه

ومن خاف الفقر وقلت ثمة بالله عز وجل فليكشف
 الغطاء عن عينه وليتفكر في الحشرات والطيور والبهائم وكاين
 من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم
 ومن اصبح عاشقاً للمال مفرماً بجمعه كان كالشيخ الهرم
 الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلاصه تحت اطياف

الأثرى حتى لا يرى

فلقد علم انه لا ينفعه في حياته ولا ينفع به بعد مماته

ومن ابتلى بهذا الداء فقلما يرجى علاجه

❖ وقد قلت ❖

وما هذه الدنيا سوى البرق لامعاً = فهذا به يلهو وذا رائد القطر

وما هذه الدنيا سوى الروض يانعاً * وأثمارها حسن الأحاديث والذكر

فمن كرمته نفسه وانفق ماله انطلقت الألسنة بمدحه

وتناقلت الركبان ثناءه وحنى ثمرات عمله كرتين في الدنيا

والآخرة كمثل جنة بربوة اصابها وابل فانت اكملها ضعفين فمن

انفق فلنفسه يرجع الثناء وله يكون الهناء ومن قتر فهو المحروم

المبعد عن الله والناس ها ائتم هوءلاء تدعون لتنفقوا في سبيل

الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه

ونذكر ما خاطب به حاتم ماوية بنت عنزر

اماوى ان المال غاد ورائح وبقي بن المال الاحاديث والذكر

اماوى اني لا اقول لسائل اذا جاء يوماً حل في مالي النكر

اماوى اما مائع فمبين واما عطاء لا ينهنه الزجر

اماوى ما يغنى الثراء عن الفنى

اذا حشرجت يوماً وضاق لها الصدر

اماوى ان يصبح صدائى بقفرة من الارض لاءى ولاخر

ترى ان ما انفتحت لم يك ضرني وان يدى مما بخلت به صفر

لقد علم الاقوام لو ان حاتم اراد ثراء المال كان له وفر

النفوس الكريمة تريد ان تكون شمساً مشرقة واثاء

فيضة فيجودون بالموجود من صدقة ويا لمون لقلة ذات اليد

حرصاً على الكرم قال الامام الشافعي

يا لهف قلبي على مال افرقه * على المقلين من اهل المروات

ان ائتذاري الى من جاء يسألي * ما ليس عندي ان احدى المصيبات

ومما يسر عند السحر ويحلو في البدو والحضر ما يروى

ان ابا تمام دخل على ابراهيم بن شكله وامتدحة بابيات

وكان عليلاً فتقبلها وامر حاجبه ان يوثقه مبرأ صدق ويعد

له نزلاً ومرحباً سهلاً حتى يبل من مرضه فاوحشه طول

المقام فكتب اليه يقول

ان حراماً قبول مدحتنا وترك ما يرتجى من الصفا
كما الدنانير والدرهم في البيع حرام الا يدا بيد
فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم اقام بالباب
قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفاً وجثني بدواه فكتب
اليه يقول :

اعجلتنا فساك عاجل برنا قـلا ولو امهانتنا لم تقل
نخذ القليل وكن كأك لم تقل ونكون نحن كأكنا لم تقل
اذ لك خبرا من سار مثلاً في الآخرين ونكلاً في
الغابرين كمثلي اعرابي اقبل يطلب رجلاً وبين يديه تين
فعطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل
تحسن شيئاً من القرآن قال نعم فقراً والزيتون وطور سيناء
فقال واين التين قال هو تحت كسائك

✽ قبول الاخلاق للتغير واختلافها في هذا القبول ✽
الخلق هو كل صفة تقوم بالنفس تصدر عنها الافعال

(١) العطاء (٢) هذا الباب اخر سهواً وحقه ان يكون بعد باب
الوثرات في الخلق في اول الكتاب فليلاحظ

الفاضلة أو الناقصة

وصفات الانسان قسمان قسم لا يقبل التغير كالصفات
الجسدية الفطرية من طول وقصر وحسن وقبح وقسم يقبل
التغير وهو الاخلاق كالبخل والكرم والشجاعة والجن وامثالها
هما عرفتته لو وضعت حبة أو نواة في أرض طيبة وأنزلت
عليها الماء لرأيتموها تهتز وترت وابتهجت بها الأرض وازينت
فهذا تغير في البذر والنوى بترييتهما

ونرى الناس يؤدبون دواب الحمل والركوب والعمل
بآداب تغير طباعهم كالخيل والحمار والبقر والبقرة فهذه تقبل
التأديب والتدريب وإذا ثبت وصح تغير الصفات والاحوال
في النبات والحيوان فاحرى به الانسان

كيف لا ونحن نشاهده كل حين هانحن نرى الولدان
يثركون الاخلاق التي اعتادوها والزائل التي اكتسبوها
والآثام التي اقترفوها بين حشمتهم وخدمهم ومع جيرانهم
وأبناء أزقتهم إذا انتظموا في سلك التلاميذ وتلقوا الادب
عن المؤدبين وكأين من طالب علم نبذ المهجر من القول

والفحمة ومعاشره السفهاء الي كان لها ملازماً وبها مفرماً
أيام جهالة وزمن لهوه وبطالة

وأصرب لك مثلاً تلميذين حضرياً وقروياً وآخرين
من أترابهما لا يتعلمان فتى الاولين من الاخلاق والآداب
ما لا يتحلى به الآخرون ولا ينصفان به مع تقارب النشأة
وتشابه التربية الاولى

ول لذلك سبب الا أن التعليم أثر في الاولين وبقي
الآخرون مهملين

بن من ذلك الجند المدربون ولا القواد الماهرون
ولا الامراء المؤدبون الا أناس خلعوا ملابس عاداتهم التي
البيتها أيام الصبا وحلهم التأديب بأجل منها ومن
تنقل في البلاد وسار في الاقطار وعرف بالاختبار وجالس
أصناف الناس وكان ذا بصيرة بحكم من خلق يجتنبه . كم
من خلق يكتسبه . واعلم ان الكتاب أحد الجليسين
فاختر لنفسك ما يحلو من جيد وردى

كم من امرئ كان صالحاً فافسده صاحب فاسق او

كتاب ومن ذا الذي يقرأ ديوان عنتره او روايته ثم لا يكون
شجاعاً قلبه قوياً

ان قراءة الكتب لتفعل في العقل فعل المخالطة . لقد
اخبرني فتى اثق به انه كان يفرع للنبأ ويفر للوثبة ويزعجه
الشبح المنسوب حتى اذا قرأ رواية عنتره استبدل الشجاعة
بالجبن والاقدام بالاحجام

واني است بهذا احمد ما في تلك القصة من السخافات
وانما احمد ما فيه من علو الهمة والاقدام

فاجنب مخالطة الفاسقين وعاشر اهل الكمال ولا تقرأ
من الكتب ما يهيج الاثام واصططف منها ما خاص من شائبة
الجهالات وخطال الاوهام وخطر الفسوق والمصيان

✽ هل الناس يختلفون في قبولهم هذا التغيير ✽

ان للجسم صحة ومرضاً واعتدالاً وانحرافاً هكذا نكون
النفس . صحة النفس حسن الخلق ومرضها سوء الخلق

وكما ان من المرض ما يسهل زواله ومنه ما لا يسهل
استئصاله ويستعصى على الطيب شفاره . هكذا سوء الخلق

منه ما يسرع دهابه ومنه ما يصير اقتلاعه ويمجز طيب
النفس عن مداواته بمقافير الاداب ومثل هذا الخلق قادر
ولكن اكثر الاخلاق تقبل التغير وليست الناس في قبول
التغير سواء

انهم يختلفون طباعاً ويمتازون سجايا وهم اصناف لا
يحصرون ولكنهم لا يعدون في ذلك اربعة اقسام ففريق سهل
قياده سريع رجوعه قريب تربته وهو الذي جهل ذنبه
فاقترفه فاذا ذكرته ذكر وهو بعد لم تمكن من نفسه خطيئته
ولم يدم خطله في عمله كمثل الصبيان في مبدأ امرهم والعامه
الغافلين الذين يفعلون ما لا يعلمون قبحه من الخطأ فاذا علموا
رجعوا وهم نادمون والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى (انما
التوبه على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من
قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهما حكيماً .
وفريق يعلم قبح ما جناه فيرتكبه وهو الذي نسيه بالاحق
وهذا اصعب من سابقه يحتاج الى عناية وكبح جماح وشدة
تهذيب وهذا الفريق قال الله فيه واخرون اعترفوا بذنوبهم

خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم ان
الله غفور رحيم

وفريق احاطت به خطيئته ودامت حوبته وتمكنت في
نفسه زلته فلازمته ملازمة الظل للشبح وألبسته لباس الذلة
والعار بالعادة الراسخة بطول الايلاف كما نشاهده فبين اعتاد
تدخين التبغ او شرب قهوة البن او أدمن المسكرات ومن هذه
الطائفة اناس طال انسهم بالغيبة او أشربت نفوسهم حب اكل
لحوم اخوانهم وهم عنهم غافلون . وآخرون لا يفتشون بتكلمون
حقاً او باطلا فغلبت السننهم على عقولهم ورموا بها وراء
ظهورهم كأنهم لا يعقلون وهذه الطائفة قليل رجوعها بعيد
اقلاعها صعب تذليلها كما شاهدناه فبين عرفناه من الناس

ولذلك قيل ومن العناء رياضة الهرم . وقيل ومن
التعذيب تهذيب الذب . . . وهذه الطائفة وأن عز مطلبها
وشق عليها رجوعها فليس لها فيما علمت بالتجربة إلا قوة
الارادة وشدة العزيمة فالنفوس الانسانية اذا قويت أرادتها
واشتدت عزيمتها لا يقف أمامها شيء ولا تغلبها قوة وهي

المعبر عنها بالصبر والعزيمة أنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان أضممت تافقت والا تسلت
وقال ابن الفارض

ونفسي كانت قبل لوامة متى * أطعمها عصت أو نعت كانت مطيعتي
فألزمتها ما الموت أيسر بعضه * وهذبتها كما تكون مطيعتي
والفريق الرابع من احلوت له مرأشف الذنوب وحلت
في عينه قبائح العيوب فاستحلى مرعاهما وترك نفسه وهواها
وأقام الحجج والبراهين على حسن نبذ العقل والدين فذلك
لن يرجع عن ذنبه الا اذا شاب الغراب وآب القارظان
وقد قال الله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله فرآه
حسنًا فأن الله يفضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) وقال (وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت
قال اني تبت الآن)

ألا هل أنبئكم عن حال أقوام غيرت طباعهم وحسنت
أخلاقهم وصالحت حالهم بعد فسادها لامور طارئة وأسباب

عارضة في الجاهلية والاسلام . هذا امرؤ القيس بن حجر
الكندي الجاهلي لقد قرأتم عنه ما أنزه قلبي عن ذكره واحفظ
سأني عن وصفه فغير طباعه واحسن حاله شهامة عربية
ومشنة بدوية لما اغتال أباه بنو اسد واخترموا اجله
وجرّوه كاس الحمام وهو على كرسي ملكهم وعرش سلطانهم
قلما أن جاءه الرسول وهو يلعب النرد قال لا أصحو اليوم
ولا سكر غداً اليوم خمر وغداً أمر ثم خلع ما البسته
الايام من سوء العادة ورأس قومه وامتشق الحسام لاخذ
الثار وحلف لا يشرب الخمر ولا يقرب النساء . أقلم امرؤ
القيس عن سوء عادته للحمية العربية والشهامة القومية بهمة
عالية وعزيمة صارمة وحزم عظيم ولست بهذا أرضي طريقته
وتجاوزه الحد ومغالاته في الاخذ بالثار ولكن يجبني
انصراف نفسه عن الدنيا وعلوها عن الرذائل . ولا أقص
عليكم نبأ عظيم من الاكراد كان يقطع السبيل ، ويهتبه
الاموال حتى اذا انتهى الى مكان فيه ثلاث نخلات احداهن
عاطلة من الثمر فرأى عصفوراً يلتقط شيئاً ويذهب به

الى تلك النخلة وتكرر ذلك منه فصعد اليها فرأى حية
عجباء فاغرة فاها والعصفور يطعمها فاعتبر بما رآه وقال
واحسرتاه لقد خسرت نفسي اذا كان العصفور خيراً مني
وكيف يحسن الى ما أمرت بقتله من الحيات وانا أسىء الى
من أمرت بشكره من الانسان فاقلع الرجل عن عاداته للعبوة
التي شاهدها والحكمة التي ابصرها

رجع امرؤ القيس عن عادته بتأثير القوة الفضية والكردي
للحكمة العقلية والكتب منعمة بأمثالهما في كل قرن وجيل
والله يهدي الى سواء السبيل

وهل لكم ان تعتبروا بما ساقصه عليكم من نباء امير مسلم
في القرن الرابع استدعى سنانا بن ثابت بن قرة الحراني
الطبيب بعد موت الرازي العباسي وشكا له ان الغضب
احاطت به خطيبته ومملكته سورتها حتى انه يقتل البراء
ويسفك الدماء على اقل الذنوب واصغرها فارشده بالانتظار
في العقاب حتى تزول سورتها وتذهب سكرته ففعل ما امره
ونتم ما ارشده له ودام على ذلك زماناً حتى حسنت اخلاقه

ومكنت نفسه وصار حليماً

انظر كتاب اخبار الحكماء . واذكروا رجلاً كان من
اكابر الصوفى فاصبح بغته من افاضل الصالحين اذ اعتبر
بأبنته الصغيرة فرجع عن غيه وعاد الى رشده ومن هذا الصالح
هو مالك بن دينار

(أسئلة)

- (١) هل يختلف الناس في قبول تعبير الاخلاق
- (٢) لم سهل اتقياد الصبيان والامامة (٣) هل يسر
- اقتلاع جذور الخلق على العاصي العالم بقبح ذنبه ولماذا
- (٤) اي فريق من الناس ينذر اقلاعه (٥) وهل من
- سبيل لملاجه (٦) من الذي يش علماء الاخلاق من اصلاحه

القسم الثالث

اخلاق عملية

✽ النظام ✽

العالم منظم جميل فلتكن اعمالنا منظمة جميلة ، الشمس
منظمة السير بحسبان القمر والنجوم . هكذا النبات والحيوان
وجسم الانسان ونظمه وموسيقاه فلتنظم حركاتنا وكلامنا
من مبدأ الحياة لنعتاده ولترتب الامتعه وسائر الاعمال
في المنزل . في المدرسة في الحقل . في حانوت التجارة . في
كل شيء . . اعلمكم ايها الطلاب النجباء انتم مجبونون وتقوانون
ما لنا وما للنظام العام — دع العموم وخض بنا في الاعمال
المعروفة واشرح نظام المنازل والمدارس واحوال الناس من
المأكل والمشرب وغيرها

(١) هذا القسم يغلب فيه الامور العملية والذي لما قبله الامور العلمية

وفي كل علم وعمل

اقول على رسلكم قفوا قليلاً لاحدثكم بمحدث رجل
 كان يعبد الله عز وجل فوق جبل شامخ الرأس وقد انس
 بوحش الفلاة من الذومبان العارية والسباع الضاربة وقد
 ظافت به كواسر الطير وهو مغرم بربه عاكف على عبادته
 ولم يكن ليالي بشيابه البالية ولا بمواعيد غذائه الذي
 يسديه له المحسنون وليس لعبادته وقت محدود فبينما هو
 ذات يوم في معبده وقد انطلق عمود الصباح اذ انس
 طاووساً على شجرة فيهره جماله وحسنه ففكر في حسن نقشه
 ورقشه المنظم وكيف يستيقظ هو وغيره من الطيور وقت
 الفجر وكيف نظمت اوقات نومهما وبقيتهما وكيف كان
 تقرير الفرد منها بكيفيات موزونة ونقات مطربة تهيج
 القلوب وتسر النفوس وكيف يزدحم نور الصباح ونور الازهار
 الباهر في خلال الاشجار وقد هبت النسيم فغردت الاطيار
 ذات الجمال البهي والصوت الشجي وحينئذ تبدت للعاين
 حال جديدة وقال . هذا فعل الله والله جميل فلا تنظم
 اوقات غذائي ونومي وبقيتي واسر كل من زارني وأرنب

ملايسي وسافكر في حسن تنظيمها وترتيبها فصار الرجل
ظريفاً ومسر به كل من رآه

اما انا فاقول لكم : انظروا الى النيل وهو يجري
خلال ارضنا المصرية فتحراثها وتزرعها فتخرج كلاً وحياً
تأملوا كيف يتربص الفلاح شهوراً ايّيب ومسر
وتوت تلك الشهور التي يعم فيها الماء اغوار الارض ونجودها
لولا انتظام الشمس ما انتظم امر النيل ولا انتظم امر
الفلاح ولا اعد رجال بلادنا للزرع عدته

هأنذا قد اجمت لكم ذلك النظام الجميل العالي المؤثر
في احوالنا باذن الله عز وجل فهلما بنا ننظر انواع ما تكون
على الارض فهو نتيجة اتقان النظام العلوي وهو امر بجاتنا
واقرب لفهمنا واعم انواعه النبات والحيوان وما كان لي ان
اعد لكم انواعهما فلسوف تعلمون منهما طرفاً ان شاء الله
تعالى في هذه المدرسة

لا اشرح لكم نظام الاوراق والاشجار والازهار والثمار
ولا عجائب اعضاء الحيوان ونظامها وانما اقتصر لكم على

نظام زهرة (الجزالية) التي ترونها في هذه المدرسة امامكم
 الم تروا كيف كوت من ورقات صفر صغيرات متناسقات
 منقوشة من اسفلها بدوائر قائمة اللون مستديرات وداخلها
 اخرى بيض ناصعات : فانظروا نظام وضع الاوراق وترتيبها
 وتناسب طولها وتوافق عرضها وصفرتها واستدارتها وكيف
 كوت باتحادها دائرة عجيبة صفراء فاقعا لونها تسر الناظرين وقلت
 عجبت لنقش الزهر كيف تنوعت بدائعه فيما يسمى جزاليه
 رفاق لطاف ناعمات طويلة مدورة الصفيين بالنظم حاله
 نقوش بديعات تربك دوائرآ بها نظرات بالهاسن زاهيه
 دوائر يعضاً فوق سود كأنها نجوم سماء في سناهن باهيه
 وترنو الى الشمس المنيرة في الضحى وتقمض عيناي الاصائل ساهيه
 نقول وقد تاهت بفرط جمالها من الشفق الغربي صبح جماليه
 فما لرجال العلم عني اعرضوا ومفتاح عقل العالمين يبايه
 وما لكم لا تفقهون محاسني وقد علم الغربي سر طباعيه
 ثغور انسام في جمال وبهجة واسداء معروف لراجي عطائيه
 وكم حشرات طاف ظائف وفدها فكان قراها الشهد في سوح داريه

انا لا اطيل في شرح هذا الجمال فما في وجدانكم من
 الفرح به يعني عن الاطالة ولا ذكر طرفاً مما اشتمل عليه
 نظام الانسان لتستدلوا به على عجائب سائر الحيوان
 انكم تعلمون ان تحت الحجاب الحاجز عمالاً تحول
 الطعام من حال الى حال كالصفراء المفرزة من الكبد وكالمعدة
 وعصارتها وتعلمون ان الرئة والقلب في الصدر هما القائمان
 بأمر نظام الدورة الدموية فالقلب مديرها والرئة
 منقية ما في الدم ولو قرأتم علم النفس لوجدتم لكل عمل
 من اعمالنا وعلم من علومنا اثارا في قسم من الدماغ
 مفصلة موزعة على سطحه داخل الجمجمة كما نظمت نقوش
 الزهرة وكما قسمت اعمال هضم الطعام ودورة الدم على
 اجزاء الجسم الانساني (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
 فارجم البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين بنقلب
 اليك . البصر خاسئاً وهو حسير)

قد آن لنا بعد ما نظرنا النظام الطبيعي العجيب ان
 نوجه عقولكم الى الاعمال الحيوانية والانسانية وسار بكم يسيراً

من نظام اعمال الحيوان ولاقتصر لكم على حشرتين اثنتين
سمى باسمهما سورتان في القرآن تنبها على عجائبيهما الا وهما
النحل والعنكبوت

النحل بناء ومهندس والعنكبوت غزال ونساج ومهندس
النحل يبنى من الشمع بيوتاً مسدسة متقنة الوضع لا
خال في نظامها والعنكبوت تعزل بخيوطها وتصنع شبكة عجيبة
هندسية بها تصيد الذباب وغيره مما به حياتها

فالشمس بنظام والنيل بنظام والشجر والزهر بنظام
والحيوان بنظام وللحيوان غريزة اودعها الله فيه تسيره بنظام
(وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) هذا هو الترتيب
العام في العالم كما قال الله تعالى (الذي احسن كل شيء
خلقه وبدأ خلق الانسان من طين وصار بالصنم في احسن
تقويم) فلنتظر الان في الانسان ونقول

اذا اردت معرفة هذه العجائب والفرائب فافقراً نظام
الصالم والامم ثم العجب العجيب وكذا جواهر العلوم

وميزان الجواهر وجمال العالم . ولقد افرغنا الجهد في هذه الكتب تذكرة ونبصرة لكل مذهب ذكي

احكم على الرجل والمدينة والامة بالنظام . فكما كان اتم مكاناً وزماناً وعملاً ومقداراً كان صاحبه اقرب الى السعادة على مقدار نظامه وبضدها تميز الاشياء ، وسواء في ذلك احوال الانفس كال تفكر ، ام الاجسام كالملابس ، ام الالسة كالكلام وهو نثر ونظم وخطب ام الافعال من اكل وشرب ويقظة ونوم وراحة وعمل وزراعة وصناعة وتجارة وامارة ام المدينة كالشوارع والبيوت ام الدول كنظام الجيوش وحفظ الامن فعلى نسبة علو النظام تترقى الامم كما فهمت ولا فصل لك اربعة امثله من اعمال الانسان لتستدل منها على باقىها فاقول

✽ المثال الاول ✽

الزراعة . رايت في مديرية الشرقية ضيعة لرجل عالم بالزراعة حسنة الوضع منظمه الطرق مزدهية الاشجار مغردة عليها الاطيار قد ربي فيها النحل والداوجن فانت اكلها ضعفين فلو رايت ثم رايت نظاماً جيلاً وثراً كثيراً

و يحيط به كثير من الفلاحين الجاهلين وهم لا يشعرون
ولولا ما فعل الفلاح المصري من النظام بتقسيم الحقل قطعاً
وتقسيم خطوطه كما اسند الكتاب سطراً على سطر وتنظيمه
بفطرته وبماورثه عن اباائه ما انتجت له الارض ما يريد
والكنه نظام ناقص عما يجب فتذكر نظام الزهرة وجسم الانسان
وبيوت النحلة واقراً قوله تعالى . (ليلوكم احسن
عملاً وقال) (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) كأن
الله لا يعطينا الا على حسب الاتقان في الاعمال وكما قرب
نظامنا من الوضع الالهي اعطانا عطاء حسناً وكما قصرنا قل الخير
والبركات

✽ المثال الثاني ✽

الصناعة — المراكب الشراعية الجارية في النيل وقطار
السكة الحديد لا تقدير في السفينة لزمان سيرها ولا مكان له
حطها وترحالها ولا لسرعتها لانها تجري بالهواء وهو لا ضابط
بايدينا وقطار الحديد مقدر الزمان والمكان معلوم السرعة
محتم العمل متقن الصنع مقدر الجري

القطار اكثر نفعا واغزر ربما من السفينة الشراعية

على نسبة التفاضل بين الصنعتين

مرت يوماً على رجل صاحب قهوة مجهزة المنشيه

احاط به اخرون من جوانبه وهم قد صفوا الكراسى ونظموا

وكنسوا ورشوا اما هو فلا يعبأ بنظام ولا يبالي باثقان

ولعمرك ان الفرق بين الرجلين كالفرق بين السفينة الشراعية

والقطار في المثال السابق اثقاناً وجالاً ومغنياً وسعادة

✽ المثال الثالث ✽

التجارة - مر في احياء القاهرة واعتبر بدكانين احدهما

في شارع امير الجيوش والثاني في شارع الموسيقى . الم تران

الاول في الاكثر اقل نظاماً من الثاني على النسبة بين

صاحبيهما فماذا اقول ؟ اقول اني اقارن بين النظامين واحكم

على الرجلين

✽ المثال الرابع ✽

المكتبة الخديوية - فيها قريب من مائة الف من

الكتب كثيرة الحجرات ما اجل نظامها . ان شئت فانطلق

اليها واطلب كتاباً فما أسرع تسليبه اليك . الا حيا الله
النظام ثم قارن هذا بمن عنده مائتا كتاب فقط لم يحمل
لها نظاماً خاصاً فكم وقت يضيعه في المشور على كتاب فانظر
وقارن واحكم واقراً قوله تعالى (ووضعت الميزان ان لا تطغوا في
الميزان وقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وتذكر
الزهرة وجسم الانسان وقس الاعمال بالاعمال

ترقى الامم العالة على الجاهلة بالنظام — فنظام أصغر
العمال في الامم المتعلمة ارقى منه عند كثير من المثربين
عندنا . زرعوا في منازلهم الصغيرة البساتين . وقسموا اعمالهم
واوقاتهم ويقظتهم ونومهم ووزعوا نفودهم على ايام حياتهم —
فصلوا امكنة المنازل فجعلوا حجرة النوم وحجرة الاكل وحجرة
الاستقبال كما رأيت في نظام اعضاء جسم الانسان

حرام علينا ان نذر اعمالنا فوضى — حرام علينا الا
نحاسب انفسنا قبل ان نحاسب . قال ميمون بن مهران .
لا يكون العبد من المتقين حتي يحاسب نفسه اشد من محاسبة
شريكه — وقال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل

ان نحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا . وقال الامام الغزالي .
 الساعات ثلاث . ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما
 انقضت في مشقة او رفاهة وساعة مستقبلية لم تأت بعد لا
 بدري العبد ابعش اليها ام لا ، ولا بدري ما يقضي الله فيها
 وساعة راحة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب ربه واقول
 اجعل للعمل وقتاً معيناً . لا تحتقر الوقت القليل .

الوقت قيمته ذهب الوقت كالسيف . دم على العمل كل يوم
 تر اثره بعد حين . الاوقات في الشرق ضائعة . عين وقت
 اكلك وميعاد زيارتك وغيرها تنل بركات الحياة

ولا تحسبن الله يغلل ساعة ولا ان عيش الغافلين يطيب
 الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غداً للناظرين قريب

﴿ فصل ﴾

الخلق قد يكون ناقصاً بالنسبة لقوم فضيلة بالنسبة لآخرين . وذلك
 كالخجل فانه في المرأة حسن وهو موطن يسوقها الى العفة وهو في الرجل
 رذيلة . فاعرك من راقب الناس مات ها وفاز بالمعالي الحسنة . الذي

(١) هذا يتبع باب الفضيلة والرذيلة والسعادة صفحة ١١٣ في القسم

العامي فليلاحظ

يُجْهَلُ مِنْ أَظْهَارِ الْأَعْمَالِ لَا يَدْفَعُ عَارًا وَلَا يَذْكِي نَارًا وَلَا يَنْفَعُ جَارًا
فَذَلِكَ الَّذِي إِنْ عَاشَ لَا يَعْشَى بِهِ وَإِنْ مَاتَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ وَكَالزَّيْنَةِ
فَإِنْ أَزْدَادَهَا فِي النِّسَاءِ فَضِيلَةٌ وَتَوَغَّلَ الرِّجَالُ فِيهَا نَقِيبَةً فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ حَازَ الصَّنَفَيْنِ وَجَعَلَ الرِّجَالَ قَوَامِينَ عَلَى النِّسَاءِ يَدْفَعُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ
وَيَحْمُونَ ذِمَارَهُمْ وَيَدْفَعُونَ الْعَارَ عَنِ الدِّبَارِ وَقَدْ حَرَمَتِ الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءَ
الْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ عَلَى الرِّجَالِ فَإِنَّهُ تَرَفٌ وَالتَّرَفُ مَا دَخَلَ بِلَادًا إِلَّا أَفْسَدَهَا
وَلَا أُمَّةٌ إِلَّا دَحَرَهَا (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَمُوتَكَ قُرْبَةً أَمَرْنَا مَتَرَفِيهَا فَفَسَقُوا
فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا)

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرَبِيٍّ

وَمِنْ الْأَخْلَاقِ مَا هُوَ فِي بَعْضِ النَّاسِ فَضِيلَةٌ وَفِي بَعْضِهِمْ رَذِيلَةٌ .
فَمِنْهَا حُبُّ الْكِرَامَةِ وَهُوَ أَنْ يَسُرَّ الْإِنْسَانُ بِالْمُعْظِمِ وَالتَّجْهِيلِ وَالْمُقَابَلَةِ
بِالْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مَحْمُودٌ فِي الْأَحْدَاثِ وَالْمُصِيبَاتِ لِأَزْمَجَةِ
الْكِرَامَةِ تَحْتَمُّهُمْ عَلَى أَكْثَابِ الْفَضَائِلِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدِيثَ وَالصَّبِيَّ إِذَا
مَدَحَ عَلَى فَضِيلَةٍ تَرَى فِيهِ كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْفَضَائِلِ .
وَأَمَّا الْإِفَاضِلُ مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ بَعْدَ مِنْهُمْ نَقِيبَةً لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا
يَمْدَحَ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِذَا كَانَتْ مُسْتَعْرَبَةً مِنْهُ . وَإِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَصْلِ
فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَسُرَّ أَنْ يَسْتَعْرِبَ مَا يَظْهَرُ مِنْهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَكَذَلِكَ
الْأَكْرَامُ وَالتَّجْهِيلُ إِذَا كَانَ زَائِدًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ فَإِنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى التَّمَلُّقِ .
وَالسُّرُورُ بِالتَّمَاقِ غَيْرُ مَحْمُودٍ لِأَنَّهُ مِنْ جَنْسِ الْخُلْدِيَّةِ . وَمِنْهَا حُبُّ الزَّيْنَةِ وَهُوَ
التَّصْنَعُ بِحُبِّ الْبَزَّةِ وَالرَّكُوبِ وَالْآلَاتِ وَكَثْرَةُ الْخُدَمِ وَالْحَشَمِ وَهَذَا
مُسْتَحْتَمٌّ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ وَالْأَحْدَاثِ وَالظُّرَفَاءِ وَالْمُنْعَمِينَ وَالنِّسَاءِ . وَأَمَّا

الرهبان والشيخ واهل العلم وخاصة الخطباء والواعظين وروءاء الدين
فان الزينة والتعظيم مستقبح منهم . والمستحسن منهم لبس الشعر والخشن
والمشي والحفاء ولزوم الكنائس وكرهية النعم . ومنها المجازاة على المدح
وهو مجازاة من يمدح الانسان ويشكره في المجالس والمحافل وهذا الخلق
مستحسن من الملوك والروءاء لان ذلك يدعو الناس الى مدحهم ويكسب
المدوح ذكرا جميلا يبقى على الدهر . ومن فضائل الملوك والروءاء بقاء
ذكرهم الجليل . اما محبتهم مماع المدح مواجهة فذلك غير مستحب لانه من
جنس الثلق وهو مكروه لانه من قبيل الخديعة واما ايتارهم انتشار
ذكرهم ومدحهم وتداول الناس له وبقاؤه بعدهم فان ذلك مدوح منهم
فمجازاة المدح مستحسنة من الملوك ومنهم مستقبح وضار لان ذلك
يدعو الى ذمهم . وذمهم يبقى ايضا مدى الدهر فينشر لهم ذكرا فيبحا
وذلك مكروه للملوك والروءاء . واما اصاغر الناس فمحبتهم جزاء المادح
غير محمود فانه اذا مدح الدنيا من الناس فانما يخدعه فاذا اجازة اعتقد
انه استرق منه تلك الجائزة . وكثير من الناس اذا مدحوا بما ليس فيهم
يبادرون الى مجازاة المادح فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه وهم
اذا صرفوا ذلك الشيء الى الضعفاء واهل المسكنة كان اجمل واليق .
ومنها الزهد وهو قلة الرغبة في الاموال والاعراض والادخار والقنية
وايتار القناعة بما بقيم الرمي والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها وقلة
الاكثراث بالمراتب العالية واستصغار الملوك ومالكهم وارباب الاموال
واموالهم وهذا الخلق مستحسن جدا ولكن من العلماء والرهبان وروءاء
الدين والخطباء والواعظين ومن يرغب الناس في المعاد والبقاء بعد الموت

احسن . واما الملوك والعظماء فان ذلك غير مستحسن منهم ولا لائق بهم لان الملك اذا اظهر الزهد فقد صار ناقصاً لان ملكه لا يتم الا باحتشاد الاموال والاعراض وادخالها ليذب بها عن ملكه وصار معدوداً من جملة النقص من الملوك الحائدين عن طريق السياسة

✽ حاجة الناس الى التعاون ✽

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعر واخدم انطلقت انا وثلاثة شيوخ امس في القاهرة للرياضة خلف شاطئ النيل الغربي فحللنا روضة ذات اشجار واطيار وازهار وثمار وقد دنا وقت الاصيل والنسيم عليل

والريح تلعب بالفصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء فارسلنا النظرات تلو النظرات الى تلك الخضرات المدهامات ومن ورائهما الجبل الغربي وقد كساه الاصيل من ذهبه جلبابا وافرغ عليه من لونه جمالاً وبهاء فترنحت افئدتنا بالمعاني ترنح الاغصان بالنسمات هناك تجدى اكبرهم سنا وارسخهم في العلم قدما ونرمز له بحرف (ا) وللثاني (ب) وللثالث (ج)

قال لي (ا) ما من اسبوع يمر الا ولي في هذه الرياض جولة ولم يكن لي من السرور والحبور ما اجده الان بشاركة الاخوان . ياليت شعري ما السبب المناظر هي المناظر والقلب هو القلب نقلت لان الانسان مدني بالطبع لا يتم له امر الا بالتعاون والتشارك والاتلاف سواء سب في ذلك الضروريات والحاجيات والكمال والزينة

قال (ب) هذا مقال مفض فامرح لنا باختصار ولتضرب امثالك
حما نراه الان وما تحس به في الوجدان ولا تلق بنا الى المرامي المهلكة
والمافوز السحيقة

فقلت لتضرب شجرة القطن لنا مثلاً ولننظر البست نحتاج الى الماء
ليستقيها والى الفلاح يقوم عابها ويحني ثمرتها والى دواليب حالجة واخرى
ناسجة والى تجار بشنرون وهم على السفن يركبون وفي بلاد اخرى يبيعون
واخرون يحملون الثياب المنسوجة الى انحاء المعمورة ومنها اكثر ثيابي التي
البسها الان فهي من البذر نابتة كما ترون وقد تولى الناس العمل فيها
وتناولتها ابادي كثيرة وها هو هذا القميص من ثرائها فانظروا وتعجبوا
ولئن قلت لكم انه لو لا تعاون امي وسائر الاسم على سطح الارض لم
يكن هذا الثوب كما ترون لم اكن مبالغاً

ولأبين لكم ابط المسائل وهو الماء الساقى لهذا القطن ان ينظم
امره في ديارنا الا بالهندسة والمهندس لا بد له من مدرسة والمدرسة تمد
غيرها ويمدها سواها من مدارس الشرق والغرب وتلك المدارس في
حكومات منظمة ووضح من هذا الناس التي بها يعملون لا بد لها من
حديد وخشب ونجار وحداد والحديد من المعدن والخشب من الشجر
والحديد اجتناب من ممالك اخرى لو لا عملهم ما وصلنا الحديد
ليس لي ان اطيل القول فصغبرات الامور وكبيراتها تتوقف على
تعاون الناس

ومثل الضروريات كالماء الذي نشربه والقوت الذي نأكله ومثل
الحاجيات الادم وجودة النوع كالقمح وكالدواء ومثال الكمال التحلي

بالعلوم والمعارف والمسرات خالفا اليوم ومثال الزينة نفس الملابس
 والتحلل بالذهب والاحجار الثمينة ولن يتم الانسان واحد منها الا بالتعاون
 (ج) فهل يتسنى معرفة هذه الاربعة في ملابسني قلت نعم وجود
 اللبس ضروري ولو من الخبث وكونه من نوع مقبول كالثمن . وتنسيقه
 على نسق افرائك بان يكون قباء مثلاً كما لي ونقشه بهذه الالوان زينة
 قال (ا) على ذلك نحن الان في حاجة لسائر الامم لا امتنا فقط
 ذلك عجيب اذن سائر الناس متعاونون وان تنامت ديارهم واختلفت دولهم
 انهم البسوا في هذا الثوب انهم جميعاً لي خادمون فلا مناص من حب
 سائر الناس وترك اذاهم قلت نعم قال الله تعالى (يا ايها الناس انا خالقناكم
 من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
 ان الله عليم خبير)

فافضل الناس انفعهم وذلك لا يتم الا بالتخلية والتخلية
 فاما التخلية فبترك الاذى واما التخلية فبالحب واسداء المعروف
 والاذى قولى وفعلى والفعلى اما ظاهر كالظلم واما باطن كالسرفة والقولى
 اما ظاهر كالسب والشتم واما باطن كالغيبة والنميمة واذن فلنذكر الظلم
 والغيبة والنميمة ونقول

﴿ الظلم ﴾

الظلم مجاوزة الحد في الاعمال والميل عن اوساط الامور قد سبق
 لك القول ان بني ادم متعاونون لا يتسنى لهم طعام او لباس او علم بغير
 التعاون وقد نصب الله لهم ميزاناً وهو العدل في كل شيء ولكنهم خدعهم

الشهوات فكان كثير منهم ظالمين وبالظلم يحتل نظام الحكومات والمنازل
والاشخاص . است في حاجة الى تذكيركم بالظلم المعروف بين الناس وهو
اخذ المال والحق الاذى والضرر بالانفس

فلقد تبينتم القول فيه عند الكلام على الشجاعة وعرفت ما قررته العلامة
ابن خلدون ولا يعد وحاصله ما يأتي

ظلم الرعية بذلها وبضعفها ويثبت ملكة الجبن

الظلم يقعد بالرعايا عن العمل لما يذهب بالامل فيثاقلون الى الارض
ويتباطون وينامون عن العمل لما يرون من ذهاب نتائج كجهنم فلمتجاوز
هذا النوع الى ما هو اخفى وادق واكثر الناس لا يفقهون انه ظلم انه اشد
انواع الظلم وانكاهها واضرها واسرعها تخريباً واقواها نكالا

عاش مع الحكومات المستبدة ولازمها ملازمة الظل للشبح والحيز
لجسم وانتقل مع الامم المتدنية لم يفارقها كمرض عصبي وتشبخ جنى فترى
اكثر الامم الراقية يتخطبون به كمثل الذي يتخطبه الشيطان من المس وما
هو ذا هو اقصاد الاكفاء وتقريب الجهلاء برشوة او بغير رشوة ذلك هو
الظلم المبين

الرجل الضعيف يفرق من لبيب تحت امرته فذلك يجتهد في اقصاد
العلماء وتقريب الجهلاء فاذا تولى ادارة البلاد او التعليم او غيرها من
لا علم له بهما ولا خلاق فقد حان بالبلاد الهوان

لا يصلح الناس فوضى لا مراة لهم * ولا مراة لهم اذا جالهم سادرا
ومناك ظلم لا يخسب الجاهلون له حسابا يحسبونه هينا وهو عند الله
عظيم ظلم الضعيف لا يطبق عن نفسه دفاعا ظلم تكاد السموات بتفطرن

منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا ظلم تهلم له القلوب وتنشق المرائر
ويغضب الرب في معامته ظلم يحمل النفوس اوزاراً والانسانية عاراً ظلم
وما ادراك ما هو هو ظلم الحيوانات العجم التي سخرها لنا الرحمن الرحيم
فمن حملها فوق ما تطيق اواجاع اكبادها انزل الله عليه صواعق غضبه
ولقد شاهدت الفلاحين يسوءونها سوء العذاب فعاهدوني على ان تتواصوا
بالرحمة وتتواصوا بالصبر على امر الناس بالمعروف ونهيهم عن ذلك المنكر
فاني اخاف على الامة التي تظلم الحيوان الاعجم ان تبوء بغضب على غضب
ولهم عذاب مهين ويقرب منه ترك هرتك المسكينة بلا اطعام لقد رايت
في هذه الايام الهرة التي اعتادت مصاحبتني في الاكل تدخل حجرتي في
الوقت المعلوم تنهيني على الامرين نظام وقت الطعام ورحمة هذا الحيوان
المسكين

قد بان لك ان الظلم يكون في ابذاء الناس والاموال ونهبها والاكفاء
وتركها والبهائم وضربها او اهلاكها ومن الاول ظلم الالباء الابناء والمعلمين
تلاميذهم بالقسوة وكل ذلك يقعد بالافراد والامم عن المعالي ويفريهم
جميعاً بالكسل

وهناك قسم رابع اخفى الاقسام واعمها خيراً وابعد ما غوراً واعظمها
خطراً وقد يكون سبباً لبعض ما قبله من الاقسام وما هو هذا هو ظلم
الانفس بالجهل والكسل واهمالها بلا عمل فمن افاء الله قوة جسمية او عقلية
فمطلوبها فقد استحق الخزي في الحياة الدنيا لانه ظلم نفسه باهمال التربية والتعليم
من الظلم ظالم الانفس واذا كان نهب الاموال وحرمان الاكفاء
ظلماً فمن السهل البين اعتبار المهمل بلا تربية وتعليم مظلوماً

انه يستحق التعليم لا استعد له كما استحق الا كفاء للاعمال ما خلقوا
 له ان اعظم الظلم في الامم الضعيفة جهلها واهمالها
 حرام على القادرين الاذكياء المتعلمين ان يخذلوا امهم وبقول احق
 واصرح حرام عليكم ان تناموا عن ايقاظ الامة لتعميم التعليم والا كان
 الاكثرون ظالمين وحرام على امريء ان يضيع وقتا بلا فائدة لا تضيع
 وقتا بلا فكر او عمل اياكم ان تظلموا انفسكم باهمالها واياكم ان تظلموا
 الامة بترك ايقاظها لتعليم ابنائها العلوم والصناعات . وحرمان المعنويات
 اكثر من حرمان الماديات انك اذا منعتها حقها عليك وهو ارشادها
 فقد ظلمتها . للامة على عقلائها حقوق كما ان للولد على ابويه حقوق الثرية
 وللارباب على الرعاة حقوق الامن والحفظ ولا ابالغ اذا قلت من قدر ان
 ينفع سائر العالمين فقد ظلم الام وظلم نفسه اذا قصر فيما خلقه الله

❖ النفس ❖

النفس يكون في القول واقد تقدم لكم الكلام فيه ويكون في العمل
 وهو الذي نتوخى الكلام فيه

وهو اما في النفس واما في الامرة واما في الامة

النفس الخادعة الغاشة تبدأ بنفسها لا يخدع المرء غيره الا بعد
 ان يخدع نفسه انه يفضل نفسه عن الصراط المستقيم ويزيفها اولاً ويقول
 ان انال هذا الخير الا بالخداع ويستحلي مراوة الذنب ويستهيئ بالاثم
 ويستحسن القبيح ثم يقدم على فعلته ويتجاسر على خدعته ثم تكون فيما بعد
 ذلك له حجة لازمة وطريقة دائمة وتدخل الحيلة عليه من طريق الشهوات

كان يخل بميزان اعماله وبتجارب الجادة في طعامه وشرابه و يغير مواقيت
صلواته ومواعيد غذائه ويقول برة حاضرة خير من درة آجلة والمحقق من
اللذة العاجلة خير من المظنون من اللذة الآجلة و يقعد عن الاعمال
العظيمة خيفة خيبة الامل وذلك بالفش الذي اعناد ان يدخله على عقله
ويقبله بجهله

وفس على ذلك الفش في الصناعة وفي التجارة وفي غيرها فانهم هذا
وتذكر ما سياتي في الكذب وغيره وفكر فيما وصلت له حال بلادنا من
الفش العام في المطعومات من ممن وزيت وخبز ودقيق وغيرها وكذلك
الموازين والمكاييل الحق الحق العدل العدل ما للناس من العدل
معرضين ما لم عن الصراط السوي ناكين كلهم راع وكل راع مسئول
عن رعيته مسئول عما اوثمن عليه مواءخذ على التقصير فيه فعلى رجال
الحكومات ان يقوموا بالقطر ويضربوا على ايدي الفشاشين ويراقبوا
الوزن والمكاييل ويجاسب الناس انفسهم قبل ان يجاسبوا الفش بخيل
لانساف النقص في صورة الكمال والجهل في هيئة العلم والضلال في
صورة الهدى

يقول له الجاهل ارحم هذا المسكين لا تشهد بالحق عليه لئلا يوه ذيه
الحاكم يقول اسند على هذا البائع الخائن او السارق الضال يقول ارفع
فريتك او صدقك الى مرتبة ليس كفوءا لها ولا تبال بمن عداه والفضيلة
تاديه والحقيقة فتطالبه ونقول الحق احق ان يتبع

لا حياة للامة ولا شرف للاسرة ولا فضيلة للمرء الا بالامانة وما
من اسرة او امة غشت في اعمالها الا حقت عليها كلمة العذاب الموت

بضياع مجدها وذهاب عزها كيف وقد وضعوا الاشياء في غير مواضعها
كيف لا وقد قلبوا النظام العام قلبوا الحقائق شووها تركيب جسم الامة
وضعوا عاليه سافله بشبر لذلك معنى حديث البخاري (ان من اشراط
الساعة ان ترفع الامانة وبقل العلم و بكثر الجهل) صدق النبي صدق النبي
صدق النبي ولقد سمى صلى الله عليه وسلم الخائن منافقا وانزله عن رتبة
المؤمن واسقطه الى هرة سبعين وقال الله لم تحملوا العار في الدنيا بالذلة
وفي الاخرة ادخلوا النار مع الداخلين وان شئتم فافروا وقوله تعالى (واذ
اخذ الله ميثاق بني اسرائيل) وكيف عدد اثني عشر عهدا فلما عنوا عيا
نهموا عنه جعلهم في اسفل سافلين واسقطهم الى دركات الهول بما
كانوا يكسبون

✽ الغيبة والنميمة ✽

قد بان لك مما تقدم كيف يهدم الظلم بنيان الامة وكيف يتبعه
الفساد وهما رداء ان اسودان تلبسهما الانسانية احدهما ظاهرا والاخر باطنا
متطابقان متحدان نتيجة وثارة يلتقيان فيكون الشيء ظلماً وغشاً ويشبه
الفساد ويقرب منه الغيبة والنميمة . الغيبة ذكرك اخاك بما يكره هذه الالة
ليل هم ظلامه وافل بدره وكور نجمه انه ليل دامس غشي على القلوب
غشي على العقول ليل ذو ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض اذا اخرج فيها
امروء يده لم يكد يراها وكيف يراها وقد اصبغ العالم والجاهل والذي
والبليد جميعا يتفكرون باكل لحوم اخوانهم ويفرحون ويرنمون في مواقع
التفريق بين الاحبة منهم

ما للناس ينسون قوله تعالى (ولا يغتب بعضهم بعضاً) يجب احكام
ان باكل لحم اخيه ميتاً (وكيف سماء اخا ومثل غيبته باكل لحمه وقبده
بكونه ميتاً وما افبح لحم الاموات وما افظع اكل الشره لحم اخيه لا سيما
اذا كان جيفة منته

الا ان هذه حال التامين وصفات المغتابين والتامون مثلهم كمثل
الظرايين يفرقون الناس باذاهم وما امرع خجلهم وما اقرب فضيحتهم
لقد سمعني وبين صدق لي انسان فلما ان تلاقت الوجوه وحصلت
الحق وزعت الباطل شامت وجوه الخائنين واخزينا واقصينا وقلنا الا بعد
للقوم التامين الفاسقين واتحدت انا وصاحبي على نبيه فهذا اقل نتائجه
اياك ان تصاحب تاماً اياك ان تقرب كذاباً اياك ان يضم مجاسك
مفتاباً فمن نقل اليك نقل عنك ومن كذب لك كذب عليك واعلم ان
كثيراً من الناس خادعون ذوو زوجهين ولسانين ولين تجد امراً سريره
كعلائته الا قليلاً

فاحترس من الناس لئلا تقع في شرك التامين المغتابين فيفسدوا
عليك القلوب الخالصة لك ويقصون عنك النفوس الواثقة وكن ممن قال
الله تعالى فيهم (واذا دعوا للفقراء عرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين

❖ الصدق والكذب ❖

اذا كنت بجانب النيل وسئلت ابن قصر النيل فقلت مشير الى هاهو
فانت صادق واذا اجاب المسؤول بغير ذلك فهو كاذب هكذا اذا شئت

كتاباً او بعث سامعة او شاهدت امرأ او سمعت قولاً فليكن قولك مطابقاً
للحقيقة مقارناً للصحة لتكون صادقاً والا كان الكذب

فالصدق الاخبار عن الشيء على ما هو عليه والكذب الاخبار عن
الشيء بخلاف ما هو عليه

الصدق شيمۃ الانبياء وحلية الحكماء وخصلة العلماء وزينة الادباء
والكذب خصلة اللوثة وصفة الجاهلاء وحلية الغافلين . انا لا اقول لكم
(انار الله سبيلكم) دعوا الكذب فانتم اجل نفوسكم واطهر قلوبكم وارقي ادبكم
ان تتدلوا الى هذه النقيصة او توصوا بهذه الرذيلة

وانما اريد ان تبينوا مضار سبله ومفاز طرفه وشروره ومنهجية
الكاذبين

الكاذب يضرب قلبه بمديحة من لسانه ويساقط على فؤاده لعنات من
قلبه لا يستقر على حال من القلق يبني قصوره على شفا جرف هار
ويضع قدمه على متن الهواء فينزل الى اسفل ساقاين

الكاذب ابدا في ريب من امره وهو في شك من ثمرات عمله شجرة
والناتج من ثمرات مكره فليس يطحن القلب حتى حين قال النبي صلى
الله عليه وسلم للعن بن علي رضي الله عنهما دع ما يريبك الى ما لا يريبك
فان الكذب رية والصدق طأ نينة الا ان نفوس الكاذبين في عذاب
من الشك مريب

الكاذب ينفذ من حوله الاصحاب ويتفرق عن الاجتماع على محبته
الاجاب الا انهم لا يصدقون له قولاً ولا يعدونه عدلاً آميناً من فقد
ثقة الاخوان عاش طريداً وحيداً وهو في امله

فربما طال معهم امدده او احاط به اهله وولده فانهم به لا يشقون
وربما كانت العاقبة ان ينفذ جمعهم وتذهب ريجهم ويزول مجدهم ذلك
ان الناس اذا يعيشون مجتمعين ويتعمون بالعيش متضامنين واللسان
ترجمان والصدق رسول الامان فاذا قتلوه بالكذب خاع الحق فيما بينهم
وغشيت شمس الحقيقة بسحاب باطلهم واسدل ليل الكذب على انوار
الحق المبين فاخذ كل من اخيه الحذر وطففت اباطيل الايمان ومردبات
الزور تلعب دورها وتثل صورها ثم يظهر الامر للاعين وتفضح الامرار
عند اولئك الاترار فيعيشون على غير هدى

او يتفرقون غير ماصوف عليهم وهذا امر قوله صلى الله عليه وسلم
(اليمين الغموس تترك البيوت بلاقم)
اذا رابت الكذب على امرة ضرب اطنابه وانزل بساحتها ركابه فاعلم
انها في الاذلين

اذا احاط الجبن بالقلوب وخاف الناس من الانصاج من الحق
وضربت عليهم الدلة والمسكنة انطلقوا الى رذيلة الكذب مهرولين ومن
الرج الاناء من الماء امتلا من الهواء
الامة الدليلة كاذبة لما اعتادت الاكاذيب خيفة الرقباء والامة العزيزة
اقرب الى الصدق في الاقوال وهذا امر قول بعضهم الصادق مصان
جليل والكاذب مهان ذليل

الا وان الكذب جماع كل شر ومفتاح كل اثم والامة الكاذبة يقل
فيها الاصدقاء ويكثر فيها الاعداء ويتركون الاعمال فتذهب دولهم
وياكلهم قوم اخرون وهذا هو الخزي في الدنيا وهو بعض اللعنة في قوله

تعالى (فتجسس لعنة الله على الكاذبين)

نبين لك ان الكاذبين لا تقوس لهم مطمئنة ولا امراتهم بوثيقة
العرى ولا وافية العهد ولا ائتم ذات حول وطول وهز وشرف مبين وما لنا
والقضايا العلمية والمقدمات المنطقية والادلة الخطائية . سالت صانع
الحذية مصريا فقلت له ما الذي منعك ان توجر في حانوتك المال
المصريين فقال ان كثيرا منهم كاذبون

ياخذون الدراهم ويمدون بالعمل ثم لا يرجعون فاضطرت لتاجير
سوام من الصانعين

نوانت هذه الشكوى وعمت البلوى

ولقد كنت اظن ان الاكاذيب خاصة بالجهلاء حق القيتما في طبقة
المتعاطين ولعمرك ما بلوت امرأ فكذب ولو كان ذا علم الا سقط من عيني
غلا ترجم له عندي درجنه ولا ادخل في قلبي هيئته

قل للكاذب ماذا حملك على الكذب او ليس لك مروءة ان الرجل اذا
كذب ذهب بهجنه وسقط رتبته وغضب ما وجهه قال بعض الشعراء

وما شيء اذا فكرت فيه بالذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه وابعد بالبراء من الرجال

الكاذب لا يوثق بايمانه مشكوك في اخباره مطعون في دينه كما في
حديث « علامة المنافق ثلاث اذا حدث كذب الخ » . تخاف الوعد

والكاذب اخوان وما في الشر والدم سبان فان الصدق والكذب فيما
مضى من الاخبار والخلاف والوفاء فيما هو مستقبل تخاف الوعد والكاذب

منافقات

ولما كان الشك قد تطرق الى ايمانها ورسول الكفر طرق بابيها
ادخلها الله في حوزة الكافرين فقال « يا بغيري الكذب الذين لا
يومنون بايات الله »

قل للكاذب ماذا به تبغى

فان استجلبت به شهوة حاضرة او منفعة ظاهرة فلقد حسبت السراب
ماء واتخذت العنكبوت بيتا فلمعرك ما انتج الشر الا الشر وهل دار
بجذلك او جاش بصدرك ان لتخذ من الوهم قصورا ومن النار جنة وحريرا
فلا والله لينقضن امرك ويزول لبسك ويمر غدك وان حلا امسك
للعالمين وسيكشف

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لان ينفعني الصدق وقاما يفعل
احب الي من ان ينفعني الكذب وقاما يفعل

وقال بعض الحكماء الصدق منجيك وان خفته والكذب مردبك وان
امنته وان كان ذلك لطعم غاب عليك فتلك وصمة عار فاقام بالنبوة عنها
واربأ بنفسك ان ترى في مراتع الملكة او تدنومنها وان كنت تفعل ذلك
ليجلب حديثك للسامعين ونسر بذلك الجالسين فلقد ركبت اسوأ المطايا
لاشرف المنازل ونعم السير على بئس العير فمثلته كمثل الذي حج بالمال
الحرام او بنى المسجد بالالايتام او كمثل اللصوص ينفقون اموالهم في
سبيل الله وهذا لما عجز عن استماع الاذان له واقبال الوجوه عليه بالعلم
والحكمة صارع الى الاكاذيب فدبرها والى الاوهام فكبرها والى المستحيلات
فصورها ثم ردى بها عقول السامعين

وان كنت تشفى بالاكاذيب غيظك من عدوك فتفتري عليه الا باطيل

وتذبح عليه القال والقيـل فقد بـوت باخسر الصفتين ولربما كانت لك
محدثا وله فضيلتها فقد تظهر مزايا العظیم اذا ذم وبـعظم شأن العالم اذا
كذب عليه الجاهلون كما قيل

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اناح ذا لسان حسود
لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
۱۰. لو صور الكذب لكان لونه السواد ولو صور الصدق لكان
لونه البياض

۲۵. الكذب يخفي الحقائق ويدسيها والصدق يظهرها ويجليها
۳۵. فانه كقطع الليل المظلم في اخفاء الحقائق وطمس المعالم حتى
قال تعالى (و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مـسودة)
افاق الظواهر سرايا البواطن فاذا حنظلت فخللتهم وظلت قلوبهم ظهر
الاثر على الجوارح فصورت ما اخفته القلوب وكتبت على الجباه ما
كنته الجوانح

الا ترى ازاح الله عنك الظلمة والهمك الحكمة وجعل قولك الصدق
ووقفك للحق

۱. كيف يشك في القول اذا شككته ويستريب فيما اورده اذا ربه
۲. وكيف ينكص على عتيبه ويحصر في مقاله اذا رددته عليه وبظهر
على وجهه سمعة الخزي ووصمة النلق وامارة الاضطراب

۳. ولو انك حدثته بمحدثه المكذوب وقلبت الوضع وذكرت وحذفت
ونقصت ما انكر ذلك عليك ولا امانى فيما اوردت من المقال
هذه علامات الكذاب بها يعرف عند المتوسمين من ذوي البصائر

واصدق الشهادة عليه واعظم الرفاء نظرات العيين وفلنات اللسان
واحوال الوجه والملاء

الا وان الوجه والعينين سرايا القلوب وعنوان ما فيها من العيوب
ترك اعينهم ما في صدورهم ان العيون يودي سرها النظر
مقباس ادا ب المره عندي في الحياه وعده وخبره فان صدق ووفى
كان اقرب الى الامانة وان اخلف الوعد تكرارا وكذب ولو مرة لم اك
اصدقه واستربت في جميع اقواله

اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكذب بصدق في شيء وان كان صادقا
ومن افه الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ اذا كان صادقا

❖ اسئلة ❖

- ١٥٠ ما اسباب الكذب
- ٢٥ ما علامات الكذاب
- ٣٥ ما نتيجة الكذب في الاسرة والاصحاب والامة
- ٤٥ الايات الواردة في الكذب
- ٥٥ الاحاديث
- ٦٥ ما دواء هذا الداء

❖ الوفاء بالوعد ❖

الوعد دين واجب اداؤه فلا تخلف وعذك ولا تعد احدا بما لا
تقدر على وفائه لقد اصبح اخلاف الوعد في بلادنا من اسهل الامور
وقلة الوفاء عند الصغير والكبير

من اخاف الوعد فقد عصي الله وخالف سنته في نظامه ان الله لا يخلف الميعاد اذا وضعت حبة برسيم او ذرة او قطن وانزلت عليها الماء وانتظرت اياما فماذا ترى ترى برصيا اخضر ناضرا من الاولى وعبدانا خضرا مورقة ناضرة فيها سنابل مخروطية مرصعة بحب يماثل ما نبت منه من الثانية وصوقا دقيقة ذات سنابل مكالة بالقمح من الثالثة واشجارا مورقة مزهرة تثمر ثمرا يغزل وينسج ملابس للانسان من الرابعة فقد صدق ما احاط بنا من النبات وعده من تغذية الدواب والانسان ومن اللباس . واذا وضعت يدك في النار انتظرت منها الحرارة او على الثلج تربعت البرودة واذا انتظرت كلا من طلوع الشمس وغروبها في اول يوم من فصل الربيع او الخريف الساعة ١٢ عربية تماما انجزت الشمس وعدك

واذا تربعت اول الشهر ان يكون هلال على ما يقتضيه جدول الفلكيين تبسم لك ضاحكا وظهر بوجهه الجميل في السماء قائلا انا لا اخلف الميعاد وعد الله لا يخاف الله وعده ان الله لا يخلف الميعاد

هذه فطرة الله عز وجل فطر الناس عليها الا وان العالم عمل الله وقد ظهرت فيه اثاره وتبينت فيه اخلاقه . وفي الحديث « تخلقوا باخلاق الله »

لذلك مدح الله اقواما صدقوا وعدهم ووفوا بما عاهدوا بل قرن الوفاء بالعهد بالنبوة وقدمه في الذكر تنويها به وتنبيها على عظيم قدره فقال « واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا » فتمجبروا كيف صدق الله وعده في المخلوقات المشاهدة ثم مدح

وسولا صادق الوعد وفارنوا هذا بحالنا اليوم . اخلاف الوعد لوم والوفاء
فضيلة الا لا سعادة في الدنيا الا بالشرف ولا شرف الا بالفضيلة والانسان
بلا شرف ينزل عن درجة الحيوان

والوفاء بالعهد من افضلها خلة واعلاها منقبة واشرفها مزينة الا وان
الوفاء بالعهد صفة اكل الرجال فيها يمتاز الكامل من النافس والشريف
من الوضع ولا قيمة لمن يخاف للمعاد ولا شرف له عند الناس كبر مقتدا
عند الله وعند الناس الا انى بالعهد « كبر مقتدا عند الله ان تقولوا ما
لا تعلمون »

ولا فقص عليكم قصص اناس وفوا بعهدهم فحضر المثل بوفائهم فخلد
التاريخ لهم اثاراً ورفع لهم في الاخرين متاراً واحصل على ما فعلوه من
السيئات سئاراً فمنهم من مات شهيد وفائه وقتيل فضيلته وخيراً فعل فلا
شرف الا بالفضيلة وهي هنا الوفاء . ومن هوذا انه رجل رومي يسمى
رجليوس امر في مدينة قرطاجة والحرب قائمة بين القرطاجيين والرومانيين
فعاذه اسروه على ان ينطلق اقومه ويحسم النزاع بينهما فتضع الحرب
اوزارها والا رجع الى امره فلما ان خاب مسعاه في الصلح عند قومه كر
راجعاً الى قرطاجة ورضي بالاعذاب المبين والقتل خيفة ان يسجل على
نفسه واهله وقومه العار في العالمين ففضل الموت على الحياة وقدم نفسه
فدية الفضيلة واستبدل الموت بالحياة خوفاً من عار القدر

وقد تعلمون خبر السموئل وانه سلم ابنته للقتل خوفاً من العار والفضيحة
بسبب العذر وذلك ان امراً القيس بن حجر لما سار الى الشام يريد قيصر
نزل على السموئل بن عاديا بمحصنه الا بلى بعد ان اوقع بيني كنده وخذلته

حمير وكرمه اصحابه اسره فعله و... الادرع الخسة التي كانت الملوك من
 بني آكل المرار يشوارثونها ملك عن ملك وسلاح و مال واهـ فاجاره واكرمه
 ثم ترك ذلك عند السمؤل وقصد قبصر ثم ان المنذر وجه الحرث بن ظالم
 في خيل وامره ان ياخذ مال امرى القيس من السمؤل فلما نزل به تحصن
 وكان له ابن قد يغم وخرج الى قنصه فلما رجع اخذه الحرث بن ظالم ثم
 قال السمؤل اتعرف هذا قال نعم هذا ابني قال له ائتلم ما قبلته ام اقتله
 قال شاك به فلت اخفر ذمي ولا اسلم قال

فصرب الحرث الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه فقال السمؤل

وفيت بادرع الكندي انى اذا ما ذم اقوام وفيت

وادصى عاديا يوما بالا تهدم با سمؤل ما بنيت

ابني لي عاديا حصنا حصينا دماء كما شئت استقيت

انظر الاغنى الجزء الثاني صفحة ٩٨ فانظر كيف اتى ذكره شرقا

رفيعا نحو الف وخمسة عام الا وان حياتنا ساعة واعمارنا قصيرة الا اذكر
 لكم قصص رجلين

احدهما غادر والثاني فاجر فاما الغادر فانه عبد الملك بن مروان

فانه امن عمر وبن سعيد ثم قتله فقال لرجل كان يستشير به مدر عن

رأيه اذا ضاق به الامر ما رايتك لي الذي كان حتى قال امر قد فات

دركه قال انه قد قال كيف يحيا من وقف نفسه موقفا لا يوثق له بعد

ولا به قد قال عبد الملك كلاما لوسيقى سماعه فعلى لا مكنت

واما الاخر فهو عبد الحميد الكاتب فقد قال له مروان بن محمد حين

ايقن بزوال ملكه قد احتجت الى ان نصير الى عدوى وتظهر العذر لي

فان اعجابهم بادبك وحاجتهم الى كتابتك يدعوم الى احسن الظن بك
فان لم تستطع ان تنفعني في حياتي نعت حرمي بعد مماتي فقال له ان
الذي امرت به انفع الاشياء لك . وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح
الله عليك او اقتل معك

وهل انبئكم بخبر الحرث بن عباد ارسل بجيرا وهو ابن عمرو بن عباد
اخو الحرث الى مهمل بعد قتل همام وجساس وكتب معه المهمل يقول
قد امرت في القتل وادركت تارك وقد ارسلت ابني اليك فاقتله ياخيك
واصلح بين الحيين ان شئت فقتله وقال لينتقم نعل كليب

فاشعل الحرث نار الحرب فوقع المهمل اسيرا في يده وهو لا يعرفه
فقال الحرث دلني على عدي وانا اخلى عنك فقال المهمل عليك عهد الله
بذلك ان دللتك عليه فقال نعم قال فانا عدي فجز ناصبته وتركه وقال
في ذلك

لطف نفسي على عدي ولم اءرف عديا اذ امكنتني اليدان

❖ وفاء سيدنا عمر ❖

ولا ذكر لكم خبر سيدنا عمر بن الخطاب اذ وفي بعهد لهرمزان
ذلك انه لما امر بقتله طلب الهرمزان ماء ليشرب فأتى له بقدر فامتنامه
حق بشرب فامنه سيدنا عمر فارق الماء فخلى عنه للبعد الذي اعطاه

❖ وممن ضرب به المثل في الوفاء ❖

حنظلة الطائي ومن هو رجل مجهول في القفار لا يؤبه له اكرم الزمان
في يوم مساء فلما ودعه عرفه بنفسه ووعد بالاحسان فجاء الحيرة في يوم

يؤس النعمان وهو يوم يقتل فيه كل من ورد عليه فامر بقتله او ليكفله
احد فتكفل به رجل من كلب فاخذ الطائي خمماية ناقة ورجع الى اهله
وجاء عند حلول الأجل بعد عام من يومه فلما رأى النعمان ذلك قال
والله لا ادري ايها اوفي واكرم هذا الذي نجا من القتل فعاد ام الدية
ضمن بنفسه والله لا اكون الام الثلاثة فانشا الطائي بقول

ما كنت اخلف ظنه بعد الذي احدى الى من الفعالي الحالي
ولقد دعيتي لخلاف خلاقي فابيت غير تمجدي ونعالي
لما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه خطب الى ابني رجل من
قريش وقد كانت مني اليه شبه الوعد فوالله لا اتى الله بثلاث النفاق
اشهدكم اني قد زوجته ابني

فانظروا ايها الطلاب في هذا القصص وتدبروا المواعظ واذكروا ما
يصير اليه حال خائني الوعود وثغاني الوعود كم وقت يضيعون لاصحابهم
وكم وقت يجرون على انفسهم وكم مصلحة ومنفعة تذهب عليهم لاخلاف
الوعود وكفى بخلف الوعد جرماً الا يثق الناس به كما ثرون في قصة عبد الملك
اجعلوا وعودكم مع الناس كحضور المدرسة في اوفاتها وسير القطار
النجاري فكما لا تتأخرون عن ميعاد المدرسة الا لعذر ثم تقدمونه هكذا
فلفعلوا ذلك مع من تعدون ولتعلمون قبل حلول ميعاد الاجل المضروب
وتذكروا دائماً قول الشاعر:

اذا قلت في شيء نعم فاقه فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسرح وترح بها لئلا يقول الناس انك كاذب
واعتبروا ايها الطلاب بذلك الاعرابي القبح حفظه اذ خلد اسمه

في التاريخ بالوفاء بالعهد لولا الوفاء ما طار اسمه في الافاق ولا عرفه
المشرقي والغربي الا انما الجمال في الاخلاق . انظروا كيف كان الوفاء
درة في تاج عمر ورفعة لذلك الوضيع حنظلة ورصمة للملك العظيم عبد
الملك ونخر الابد الحميد المقتول وذكرًا خالداً للسموهول

الوفاء اشرف الخلال الوفاء بالعهد شهامة عربية او خلة مضرية وقد
ارشدت اليها الشريعة الغراء والقرآن - حض عليها والسنة ابدتها بل علامة
الايمان وخدتها من اخلاق النفاق قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه
وسلم (ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا
اخبر كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان)

وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اربع من
كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق
حتى يدعها . اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاف
بخر) قال تعالى (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولاً) وقال (واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم)

❖ اسئلة ❖

على الوفاء والقدر

- (١) اذكر الايات الواردة في وجوب الوفاء بالوعد
- (٢) اذكر الاحاديث الواردة في الوفاء بالوعد
- (٣) من غدر واخلف الوعد فما وصفه في الدين
- (٤) اذكر من جعل نفسه فدية اشرف الوعد من العظماء المسلمين وغيرهم

- (٥) اتعرف من الذي سلم ابنه للقتل ولم يخلف الوعد
 (٦) ومن كان صعلوكاً فوفى بعهده فحاز الشرف وذاع اسمه في الافطار
 (٧) اي ملك غدر فندم بعد الغدر
 (٨) اذكر من ظفر بعوده فوقع في قبضته فاحتال عليه بوعد فوفى
 به خيفة ان يوصف بالغدر
 (٩) ماذا يجب عليك قبل الوعد وماذا تفعل اذا اضطورت لعدم
 الوفاء بعده .

✽ محبة الوالدين والاقارب والاصدقاء والجيران ✽

والاهل والوطن

قد سبق لنا القول ان الناس مدينون بالطبع و بعضهم عضد لبعض
 ولن يتم ذلك الا بامر من بتخاية من ظلم وفش وكذب وما اشبهه من
 افات اللسان والافعال وتخاية بمحبة واخاء ومودة ونقول الان
 ان الام في اجتماعها والناس في حياتها اشبه بالاجسام الانسانية في
 تنظيمها والاجسام في حاجة الى غذاء يبقها ودواء ينجيها عند الخوف
 هو يقويها عند الضعف

ومرض الام والمجتمعات البشرية والامرات المنزلية والصدافة الاخوية
 انواع الظلم والفسوق والاكاذيب وما اشبهها مما ذكرناه انفاً وغداً لها
 المنجيات والمودات والاخلاص في الافوال والاعمال
 المحبة سر الله المكنون المخزون الذي اقام به السموات والارض المحبة
 تنور اشرق على البصائر فانارها واضاء على النفوس فاسعدها لثن اضاءات

الشمس والقمر والكواكب افطار السموات واكتشاف الارض فهكذا كان
الحب شمس النفس الانسانية وقر العقل البشري وكواكب القوى الانسانية
وكما ان الكهرباء ان انت اثرتها بالصنعة ثارت فادارت الدولاب فسقت
الحرث ودوت الارض وحاجت القطن ونسجت الثوب وصفت اللبنة ثم
جعلتها آجرًا فتبني بها البيت وترفع القصر المشيد هكذا كانت المحبة في
نفوسنا والود في قلوبنا ان نحن تركناها عدمننا اثرها وجهلنا خبرها وحررنا
وان نحن اثرناها بالمخالطة النوادية والالفة وقدح زناد الاخوة والعلاقات
بالمدايا والتخف والابتسام والادب وحسن المقال وطيب الفعال كانت لنا
نورا مبينًا .

لولا المحبة ما تصافى الزوجان ولا انجبا الغلمان لولا المحبة ما فهم العلم
طالبوه ولا ادرك الدرس سامعوه الحياة ظلمات كقطع الليل المظلم وليس
يضيئها الا نجوم المحبات وبدور المودات . لولا قلة المحبة في هذا الانسان ما
اهوزه القضاة ولا طمع فيه الجناة ليس يلجأ هذا الانسان للمحاكم الا بعد
ضعف المحبة كملت المحبة في القلوب توارث في النفوس كما كملت الكهرباء
في الاجسام وتوارث النار في الاحجار والاشجار وغاب البخار في افطار
الهواء فمن استخرجها فازبها وسعد ومن فعل فجعلها شقي يجهله وضلاله المبين
لعلك تقول ما السبيل لا يراه نار المحبة وما العمل لا تارة كهرباء المودة وما
الطريق والسبيل ومن الذي يجب ان انجه له بالمحبة وانقدم اليه بالمودة

احب ابو بك احب ابنك احب اخوانك وجيرانك احب وطنك .
احب الناس ان كنت من الكاملين للحب اسباب ولا نتيجة بلا مقدمات .
ولا ثمرات بلا شجرات . يطلب العاقل الحب كما يطلب المال انت شرف .

المحبة ومقام الصداقة ودرجة المودة اعلى واشرف من القنية وصائر الاحوال الجثمانية
الناس يطلبون المال بالجد والتشهير ولكنهم لا يحبون الا مصادفة
فاذا رابت الناس ادبروا عنه فكن مقبلاً واعلم ان بناءه على دعامين التفكير
والعمل فاما التفكير فانه يحل لك شمائل من تحب و يظهر لك ما تناسبته
او نسيته من صنوف الفضائل وضروب الانعام تذكر فضل الوالد بن عليك
وتمثل امام عينيك صنمها وما لها عليك من صنوف النعم والتكريم هذا
بإله وقوته ورحمته وتلك يحلمها ورضاعها ورعايتها ورافتها تصور ذلك
وانظمه في مخيلتك واعرضه على عقلك وانظر هل جزاء الاحسان الا
الاحسان ان ذلك يدعوك للعمل فتسمع وصية الله عليهما في قوله (وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه) واذا ما وصلت الى قوله (وقل رب ارحمهما كما
رياني صغيرا) . فتقارن وشبهه وقو الشبه بين الرحمتين بالاعمال واباك
والاهمال « ان رحمة الله قريب من المحسنين »

وكما ان من الناس من يغفل عن محبة الابوين نرى فئة يفضون
الطرف عن الولد ويلوون كشحا الا فليذكر اولئك بما غرس في بطونهم
وليدأوا بدواء التذكر والممارسة لابنائهم وليخاطبهم وليكسروا الرحمة برداء
المحبة ومن مكملاتها تربيائهم جـمـاً وعقلاً والائتناس بهم ومبالستهم
ومعاشرتهم وان يخصصوا ساعة يكسبونهم من معادن صفاتهم وشمائلهم التي
اكتسبوها على شريطة ان يجربوا المساوي وبنأوا بالمخازي فالطبع مرآة
للحسنات والسيئات ولنعم بالحلب والاحسان سائر اثار بك ولتجاوز عن
هفواتهم ولتكن معهم كيوسف الصديق مع اخوته وان ترى احدا الا وقد
اساء ذروا القربى فالفاضل المذهب من تجاوز واغضى وقابل الاساءة

بالاحسان كما فعل سيدنا يوسف وكان جزاؤه في الدنيا ان اصبحوا له مطيعين وخرروا له ساجدين وفي الآخرة انه الحق بالصالحين
كرر صورته وتعجب من العفة في الشباب والفضل والخلق الحسن
ودفع السيئة بالحسنة واكرام الامل والعشيرة والذين كانوا له كالحاسدين

﴿ الاصدقاء ﴾

الانسان بلا اصدقاء في الحياة يودم ويودنه ويحبهم ويحونه
ويجادلون المنافع كحجر ملقى في القلاة اياك الا تطلب الصديق الصديق
خير من الذهب والفضة وصائر ما على الارض واذا اصطفت امرءا
لاخلافه الكريمة وادابه الفاضلة فافرح فارحة واثرك كبرياء الود بالبشر
عند اللقاء والهدايا والتحف عند الامكان . قال بعض الحكماء عجبت لمن
يعل ابناءه اكتناز الذهب والفضة ولا يعلمهم اكتساب الاصحاب . تلق
اصحابك بالبشر وكذا صائر معارفك وافرأ ما كتبه ابن مسكويه في
ذلك والغزالي لتعلم ان من اصول الدين اتخذا الاصدقاء قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « يقول الله يوم القيامة ابن المتحابون لجلالي اليوم اظلمهم
في ظلي يوم لا ظل الا ظلي » وادعى الله الى المسيح عيسى عليه السلام
لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس وبغض
في الله ليس ما اغنى عنك ذلك من الله شيئا

﴿ من هم الذين نحبهم في الله ﴾

كل من احبته لمعونة جسمية او عقلية كالشريك والخدام والامتنان
والزوجة والولد بهم جميعا تقرب الله كل من اعانك بقول او فعل فاحبته

تخبه فر بنى لله عز وجل وهو المسيح بالحب في الله الا ترى انه يعينك على
الفضيلة اما بنفسه كالعلم او بواسطة كالخادم ما اهدأ عيش التخابين ما
أسعد ذوي الاخلاق الجميلة الذين يحبون الناس ويحبونهم حاجاتهم
مقضية سيرهم مرضية رضى الله عنهم ورضوا عنه واحذر مجادلة الاصدقاء
او غيبتهم او سماع ذم فيهم وانت ساكت اذم السوء ال عنهم اكرم
تابعيهم واقاربهم واصدقائهم من عمل ذلك سعد في الدنيا ودانت له
القلوب وكثر اصدقاؤه

والعاقل اذا تألفناه جاب امثاله واشباهه وقد ورد في الخبر ان
حول العرش منابر من نور عليها قدم لباسهم نور ووجوههم نور قالوا
يا رسول الله من هم فقال التخابون في الله والتجاورون في الله
والتراورون في الله

❖ حب الوطن ❖

ليس حب الوطن غريباً عن موضوعنا انه حب الاصدقاء واخاء
اهل وطنك هم اعدائك وعشيرتك هم الدين ربوك ووازرك هم الدين
واسوك في السراء والضراء . الوطن جسم وانت منه عضو . احب امتك
المصرية . جاهد ما حبيت في اعلاء شأنها ان الجهاد في ذلك باصر به الشرع
و يشير له الحديث المتقدم امن اهل وطنك ابذل لهم العقل والمال
والروح عند الحاجة وافهم قول النبي صلى الله عليه وسلم ان حول العرش منابر
من نور عليها قوم لباسهم نور ثم اشار الى الاصدقاء ولا تظهر الصداقة الا
بالمعاونة انت عين الامة وسمعتها انت جزء منها اياك ان تقعد عن نصرتها لئلا

يفض ربك ويفض نبيك اباك ان تكون عالة على الامة فيا حسرة على امتنا المصرية اذا غص الطرف عنها ابناؤها الامة كلها لك صدقة ولئن ثبت بالبرهان الصادق ان سائر بني ادم مشتركون متعاونون في منفعتك فعملك ان تعينهم وتكاثفهم فما احراك ان تحب امتك وانت من عنصر مزاجها ونسج ردها لا تظن ان حب الوطن ان تقول باللسان وتمتد بالجنان وانت عن العمل قاعد ولكن اتعلم ان محب الوطن يجاهد بلسانه وبقلبه وبطحه وسائر جوارحه وطنك مصر تحتاج لخدمتك مصر ترجو منك اسعادها مصر جنة الدنيا وفردوس الحياة مصر زينة الكمال فاحبها تحباً جماً هل ادلك على تجارة بها تنجيها وصناعة بها تسعدها

(١) اقرأ العلم في المدرسة رغبة ان تهمل به وتكون به عاجلاً اضر لسائر اخوانك ومعلميك الحب وعاملهم بالصف والمودة

(٢) فاذا فرغت من مدرستك ونلت شهادتك فانطلق الى الخلوات والحقول وادرس نظامها وقيد في دفترك علومها وصنعها لديك في كتاب فاذا انت من نفسك جمال المخلوقات ورمت على صحيفة عقلك سطوراً عن هذه الكائنات فاعلم انك اهل لقيادتها وسوقها الى سعادتها ان صماء مصر صافية جميلة وماؤها سلسيل وما اجل النيل وما احسن اشجارها واجمل ازهارها واغزر اثمارها بلاد جميلة بهية احق بلاد الله باخراج العلماء والمفكرين

(٣) فاذا اخذت بحظ من هذا الجمال فاعمل بهذه الوصايا (واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وباليدين احساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وقيموا الصلاة واتوا الزكاة)

فاكرم والدليك بالقول والاحسان واقاربك ليكون لك مرانة على
 اكرام الينامي والمساكين في بلادك وقابل الناس اجمعين بوجه باش وقل
 لهم قولاً جميلاً واتم الصلاة بحا لله واتفق بما اناك الله واباك ان نذر
 لحظة من زمانك بلا فكار او عمل اياك ان يذهب شبابك وانت غافل
 فانك اذا اخذت لحظة من زمن شببتك كانت حسرة عليك وعلى وطنك
 وكما فرغت من شأنك الخاص فانظر في امرامتك وحام عنها جهد
 الاستطاعة وابقظ العقول من نومها واتم الزوام من سباتهم المصيق لا تدع
 خالاً ولا جاهلاً حتى ترشده الى الصراط المستقيم واباك ان تظن ان
 خادم الوطن يحرم في الحياة الدنيا من الذكر الجميل والخير العميم وتعلم
 ان الجزاء يعم الدارين قال تعالى وابنياء اجره في الدنيا وانه في الآخرة
 لمن الصالحين فهل ادلك على احسن القصص لتدبج على منواله وتسير على
 حراطه تامل في قصة سيدنا يوسف النبي صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم
 تربي في بيت الوزير المصري فاكرم مشواه فارتدع بالعفة وانتذر
 بالشجاعة وابى الدنيا وقال لمن طلب الخنا ان هذا العزيز احسن مشواي
 فلا اخونه في عرضه وهل يفلح من خان المحسن اليه وما اجهل الظلوم
 وفضل السجن في ظلامه على دنس العرض وشينه
 فلما دخل السجن لم تصفر نفسه امام الحوادث ولم يتقهقر امام النوائب
 بل علم الخادمين وصغار العمال من السجونيين
 حفظ النبي الصديق وهو في مصر عفته وصان نفسه وبث الحكمة
 والعلم في سجنه فماذا جرى اصبحت تلك السيدة له من الخاضعين وشهد له
 اولئك الصالحين في قصر فرعون فقالت انا راودته عن نفسه وانه لمن

الصادقين وقال ما في الملك انه عليم بتاويل المنام فاصبح اميناً بها تبين
 الشهادتين ودبر الاموال المصرية وصانها عن ضياعها وذهب ثروتها ونجدها
 القديم فحفظ الغلال في سنايلها ايام خصيبها ووزعها بين الفلاحين ايام
 قحطها هذا هو المحب للاوطان هذا هو السيد العظيم هذا هو النبي الكريم
 هذا الذي عفا عن اخوته الذين في الجب غادروه تغرؤا له سجداً وقال
 يا ابت هذا تاويل رؤياي

الخدم مصر كما خدمها ذلك الذي الصديق اجتهد في تعليم الفلاحين
 مصر جنة وسكانها جاعلون في اخاف ان تقصر في حفظها لقد حق القول
 على من قصروا في المنفعة العامة فقبل لهم (فما جزاء من يفعل ذلك منكم
 الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب) فالخزي
 في الدنيا بالذل والتسخير وفي الآخرة بعذاب النار
 وان اردت المزيد فتذكر ما فعله نبينا صلى الله عليه وسلم اتدرسي
 ماذا فعل نبينا وقد قال الله في اول السورة نحن نقص عليك احسن
 القصص وفي اخر غيرها وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
 فؤادك وجاءك في هذه الحق

وانظر وتعجب فان نبينا صلى الله عليه وسلم انعط بهذه السورة وعمل
 بما علم فقال ما وعده الله لم تراه كان نبياً فاراه الله ولم يكن متعاماً فعلمه
 الله وكان عائلاً فاغناه الله .

واثن ارتقى يوسف بصبره على لاذي في سبيل الضيعة وشدة زعزعه
 وحزمه في السجن وعلم الصماليك فاعزوه وايدوه فتسلم قيادة الامة المصرية
 ورفع من شأنها فلم يطمع فيها جيرانها المعتدون ثم عفا عن اخوته فكانوا

له محبين شاكرين

فلقد صبر النبي صلى الله عليه وسلم على اذى فر يش وقولهم ساحر
كذاب كثران بطانة العزيز الذين سمعوا الصديق زورا وبهتانا وكان
يعلم الفقهاء الذين بحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف كهيب وسلمان
الفرسي كما امر الصديق الخدم في السجن وماكه الله زمانا بلاده وفتح
مكة وغيرها فقام بالعدل كما تولى يوسف نظارة بيت المال في مصر وعفا
عن فر يش واكرم اشدهم باسا واصحابهم مراسا وعدارة وهو ابو سفيان
زوج هند وهي التي اكلت من كبده عمه

اكرمه النبي صلى الله عليه وسلم وعظمه فقال يوم ان فتح مكة من
دخل دار ابى سفيان فهو آمن او لبس من العجيب ان يشرف النبي صلى
الله عليه وسلم اما سفيان كما قال يوسف الصديق لا تثر يب عليكم اليوم او
يس من المدهش ان يتوافق التاريخان ثم البس من المحزن ان يتجافى المسلم
عن الفضيلة جهلا فاقصد باولى العزم ممن هم قاداتنا

ان الاخلاق غراس الدنيا والاخرة ثمرتها ومن اراد نفع مصر فليقلد
يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم ويتبع خطواته وبعثد بسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم في اخلاقه وليؤمن بقوله تعالى (ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين)

✽ الاجتماع في الجمعة والعبدن والجماعة والحج ✽

قد اساتنا لك كيف كان الاتحاد في الاحوال والاخلاق داعيا
للاتحاد والاتلاف والمحبة وكذلك في العالم المشاهد اثار المثر كيف
جرى ماء النهر فسار الى البحار جريبا الى مستقره لينضم الى جنسه وهكذا

الحجر ترفعه الى اعلى فيأبى الا ان ينزل الى مقره والاجسام الثقيلة كلها
تتحرك الى اسفل طلباً لاخوانها وحباً في الائتلاف يجامعها وهكذا الاجسام
الخفيفة لم تتركب ارتفع الدخان لينضم الى الاجسام الاخرى في طبقاته
الاتحاد في الجوهر والصفات فهكذا الناس لا يتعاطفون الا حيث يتفقون
ولا يتحابون الا حيث يتشاكرون وانظر كيف ترى الطفل يجري لاضرابه
والخادم يحب امثاله . وترى كل اناس امتازوا بصفة يتضامنون لاجلها
ويتقاربون بسببها فالمحامون ترام يشحذون لاهانة اعدائهم

والتلاميذ يسرهم ما يسر اعدائهم وعلى ذلك سمعت الامم قديماً وحديثاً
في انتشار لغاتها واديانها وعلومها واخبار شجاعتها وملوكها ومدح رجالها
واللهدث بجمالها وعظمتها كل ذلك ليحشدوا لهم اخوانا وليقر بوا منهم اخداناً
واحباباً فيعظم قدرهم ويزداع صيتهم ويكون لهم من وراء ذلك نخر عظيم
ومجد كبير على مقدار اتباع من اتصف بصفاتهم وورد مشاربهم وروى
من مواردهم

ومن هنا تعلم حكمة التشريع في الاجتماعات والجماعة في الدين
الاسلامي فانظر كيف يجتمع المصلون كل يوم خمس مرات في الصبح
والظهر والعصر والمغرب والعشاء يذكرون الله ويعبدونه باقوال وافعال
متحدة ويصطفون صفواً منسجمة ووجبت عليهم الجماعة وجوباً كفائياً
بحيث يشعر اهل كل جهة انها فيهم مقامة ويسمعون الاذان يذاع بين
الصغير والكبير تأمل كيف يقول صلى الله عليه وسلم لتسون صفوفكم او
ليجالفن الله بين قلوبكم ومن هنا تفهم السر العجيب النبوي الاجتماعي وكيف
يقول صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة

هذا امر عجيب لداعية الاتحاد والائتلاف ولما كانت كل جهات
البلدة واجبا اتصالها لازما ائتلافها فرضت الجمعة وشدد الشافعي رضي
الله عنه فيها فواجب ان تكون في البلد في مكان واحد لئلا تلتف الجمع
المختشد وتتحذ الاثمة وشرعت صلاة العيد ليتعارف اهل المدينة ومن
حولها مرتين في السنة

ولما كانت الاقطار المتناوبة والامم المتباعدة من اهل الاسلام لا
جامعة بينهم ولا صلة تربطهم شرع الحج وكان من احد اسبابه تعارف
الوجوه المختلفة والامم المتباعدة وتحابهم وتوادهم فانظر كيف يتعارف
الهندي والصيني والسوداني والاوربي ويتعرفون اخبار امهم واحوالهم
وعاداتهم ونظاماتهم وكل ذلك اورث محبة بينهم وادع في قلوب اولئك
القوم المتباينين من الحب والاشفاق والحنو ما لا يخفى على احد
ثم انظر كيف تنفطر قلوب مساحي اسيا اذا سمعوا اخبارا سيئة عن
سلي افرقية وهكذا احوال الاولين بالنسبة للآخرين فتأمل وتعجب

❦ ادب الانسائه في نفسه ❦

من ادب النفس ان ترعاها في السر كما ترعاها في العلانية فصن
نفسك في الخلو كما تصونها في الجلو من ذا الذي نهوت عليه
نفسه فلا يقيم لها وزنا فيخرج الاثم ويرتكب الذنب فليكن ادبك مع
نفسك اكثر من ادبك مع غيرك الا ان الاخلاق عادات ومن اعتاد
السبائات في خلواته غابت عليه في علانيته فافتضح امره فكن كما قيل
فسري واهلاني وتلك خابتي وظلمة ليلى مثل ضوء نهاري

الا ان مخاطر الساعات لا تروا وللمعالي الكامنات لعملاً فادب

السريرة وانظمتها واكبح الخواطر وافهرها وتادب في الخلوة واحفظها

ومن ادب النفس نظام الطعام والشرب واللباس وزينتها بالكمالات

العقلية والفضائل النفسية وقد مر كثير منها غير ان للباس حقاً ما قضيتاه

فادب اللباس ان يكون وسطاً مقبولاً فلا تخالف زي قومك وعادة

طائفتك الا ترى ان للشرقيين من الزي ما ليس للغربيين وللتجار ما

ليس للعلماء وانكن زينتك على مقدار ما اتاك الله من مال وما منحك الله

من ثروة فاذا لبس المثرى ملابس الفقراء فما احراء باسم المقتدر واذا لبس

الفقير ملابس الغني فانه ممصرف وكن معتدل الحال في مراعاة اللباس من

غير اكثار ولا اطراح فلا تصرف اليه كل عنايتك ولا تزد عن مقدار

ثروتك . قال المتنبي

لا تعجبين مضجاً حسن بزته وهل يروق دفيناً جودة الكفن

وقال ابن الرومي :

وما االى الازينة انقبضة يتسم من حسن اذا الحسن قصرا

فاما اذا كان الجمال موفراً كحسبك لم يحتج الى ان يزورا

وقال اخر :

وترى سفينة القوم يدنس عرضه سفها ويمسح نعله وشراكها

ولا يوفئك مثل هذا الشر في مذمة الترك وازدراء النفس وعدم

المبالاة باللباس فقد روى عن عائشة رضى الله عنها ان رجلاً جاء الى

النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مالك قال من كل المال قد اتاني الله فقال

ان الله يحب اذا انعم على امرئ ان ينظر الى اثرها عليه . وقيل

المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة الا ان للظواهر لا آثاراً ولحسن الشكل
وجمال الزينة فضلاً في حسن المعاملة وجمال المعاشرة وانى لا عرف امرأ
متصفاً بالعلم والصلاح ازدراه صدقة لقذاره ثوبه حتى ابعدته عن مجلسه
واقصاه عن داره

كن نظيف الجسم نظيف الثياب بهج الهيئة حسن اللقاء عطر الرائحة
فلا يرين الناس منك الا جمالاً ولا يشمن الا عطرًا ولا يسمن الا
حسنًا ولا يرون عنك الا احسن القصص واجمل الثناء

✽ اداب الاجتماع ✽

لتكن مع الناس كالنجم اذا طلع والبدر اذا ظهر فليبدون لهم انك
ونورك وليبعدن عنهم زهوك وغرورك فان جلست مع من علا قدره وسما
ذكره فلا تقعد متكئاً ولا تعبت بيد ولا تناج جارك واباك ان يغلبك
النعاس او السعال او التشاوب او العطاس فان غلبتك فاجاب المجالس
واعلم ان السلامة بالتباعد خبر من الندامة بالاقتراب وتذكر سورة
الحجرات وما فيها من العظات يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله واتقوا الله

اجعل الحب شمسك المشرقة وقرك المضيء وابتناسمك دليلاً على
اخلاصك . الحياة بحر لحي بغشاك موج من فوقه موج من فوقه ظلمات
ولا تخبص من الجمعية البشرية والاخلاص والحب هما المغناطيس والكهرباء
والادب وحسن الحديث . وتامل كيف امره بان يتامى بنوح وصبره
ومومي ومطاولته ويوسف وعفوه وخالفه ونهاه ان ينسج على منوال ذي

النون او يكون كادم اذ نسي ولم يجد له عزماً
فالتقمة الحوت وهو ملهم اذ قال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وهو مكظوم وتامل كيف شبه الكافرين بامرأة نوح وامرأة لوط والمؤمنين
بجريم ابنة عمران وبزوجة فرعون اذ صبرت على الاهرال وقالت رب ابن
لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين
ولا تنس ذكر الابطال من الصحابة والتابعين كابي بكر وعمر الفاروق
وغيرهم في امم الشرق وامم الغرب اجمعين

✽ اداب الزيارة ✽

ان لازيارة لاداباً يحفل بالاديب مراعاتها فمنها الاستئذان قال
الله تعالى (يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على اهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احداً
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم والله
عليم بما تعملون) ولا تطل المكث عند الامراء ولا الجلوس عند المرضى
ولا من تراكت اشغاله وتزاحمت اعماله قال استاذنا المرحوم الشيخ عبد
المهدي الايباري

ولا تطيلن مكثاً عند ذي مرض ولا امير ولا ذي شغل انهما
وتفقد حال من تزوره فامكث حيث يحسن الجلوس وقم حيث يحسن
القيام واعتبر ذلك مع الزور ولا تجعل قول الشاعر :
لا نزر من نحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الحلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه
مقياساً تقبى به زيارتك بل ذلك يختلف فمنهم من يحتاجك كل
صباح ومنهم من يود لقاءك كل جمعة او كل شهر او كل سنة وهكذا
اقوال الشعراء والادباء والعلماء بيزان عقلك ومن الاداب ان تشاصر
الحزين وتقاوم الفرح في فرحه وانفذ شعاع بصيرتك الى المزور فان رابته
قد ظهرت عليه علامات الملل او بدت له سائحة شغل وعمل كان سكت
عن الكلام او كان متحفظاً للقيام او نظرت في ساعته فاسرع بالخروج بعد
الاستئذان ولا تطل الحادثة وافقاً فتلزمه الوقوف على قدميه وقابل زائر
بالشاشة والادب والاحترام وحيه باحسن من تحيته وشيعه الى الباب
وخص بالعناية من هو اكبر منك سناً او مقاماً فقابله من الباب ولا تحقر
احداً بل اقبل على كل من زارك وتذكر ما خاطب الله به نبيه صلى الله
عليه وسلم اذ قال معانيك له عيسى وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله
يزكي او يذكر فتنبه له الذكر ولا تكن في محل اخر والزائر منفرد الا لداعية
ورد الزيارة وعد المضي وخفف عندهم الجلوس الا اذا كانوا يميلون
لكلامك ومقامك كما قدمنا وقل عند انصرافك كشف الله حزنك وغر
ذنبك وحفظك في دينك وبدنك

❖ اداب السفر ❖

(١) ببندی برد المظالم واعداد النفقة لاهله وعياله ويرد الودائع
ولينخذ له زاداً حلالاً وليوسع على رفقاته قال ابن عمر من كرم الرجل
طيب زاده في سفره ويعرف خاتى الرجل بسفره فان حسن فيه كلامه

وطاب طعامه وظهرت مكارمه فذلك الذي يرحى سفره وحضره
(٢) واختارك رفيقاً ولا تخرج وحدك فالرفيق ثم الطريق وليؤمر
الجماعة عليهم واحداً يجمع شملهم ويلم شعيتهم وليكن احسنهم خلقاً وارفعهم
وليقيم بما املوا فيه

لما امر ابو علي الرباطي عبد الله المروزي عليه في السفر قام عبد الله
يحمل زاديهما على ظهره وبات ليلة على رأس ابي علي ، السماء تمطر وفي
يده كساء يمنع عنه المطر وكلما نهأ يقول ائتت تقول افي انا الامير
(٣) وان بودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء لق له عليه الصلاة
والسلام (اذا اراد احدكم سفراً فليودع اخوانه فان الله تعالى جاعل له
في دعائهم البركة)

(٤) وان يصلي في بيته قبل سفره صلاة الاستخارة
(٥) وادارك فليقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
(٦) وان يرحل عن المنزل بكرة وان يراقي بالدابة وان يراعي
نظافة الثياب والبدن في السفر ليقبى جملاً حسن البشرة فيجعل المرأة
والمكحلة والمقراض والسواك والمشط هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

✽ اداب الطريق ✽

اذا جئت في الطريق فنض النظر عن المحرمات وكف الازد
عن المؤمنين والمؤمنات واعن من استعان بك من ذوي الحاجات ورد
بالسلام على من سلم عليك واذا رابت منكراً فغيره بالاصلاح او خلافاً فيما

أمامك من عمل فامر بأصلاحه وإذا رايت مظلوما فاعنه أو ظالما فأنه
عخذ على يده فامر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما يصيبك وكن
عن الصالحين في حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا
بد إنما هي مجالسنا قال إذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقها قالوا وما
حق الطريق قال غص النظر وكف الأذى وامر بالمعروف ونهى عن المنكر

✽ آداب المحادثة ✽

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الرجال ذوي العقول
محادثة العقلاء تزيد العلم علما وترفع المرء الوضيع وتبعث في قلب
الجبان شجاعة وفي نفس البخيل كراما . وكأي من جاهل صار بمجالس
الحديث عالم . وللمحادثة آداب فلا يصدقك عنها الهوى

فأولها أن يرى محدثك أنك على أن تسمع أحرص منك على أن
تقول . وعلى أن تستفيد منه أحرص منك على أن ياخذ عنك . وإياك أن
يشملك عن مسمع قوله شاغل أو يصدقك عن الأصغاء إليه خاطر . وأن
غشيتك شيئا فيما يقول فدعها حتى يفرغ من مقاله : وأقبل بوجهك عليه .
ولير ذلك ظاهرا في لحظائك وحركاتك وحديثك

وثانيا أن يكون الكلام لمضرة تصرفها أو منفعة تجلبها فالناس لا يؤلم
أمرع منهم إلى أعمالهم فما أخف حركات اللسان وما أضرب بأذى الإنسان
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر
لكم ذنوبكم

وثالثها الا تعدو به وقت الحاجة ولا تقصر فتجعله سابقاً لا وانه او
متأخراً عن زمانه فلقد جعل الله القلوب كالزبعات (الاماكن المزروعة)
والكلمات بذوراً وكل بذور وقت لا ينمو الا فيه فلكل كلام زمن لا يؤثر
في غيره فاحذر خلتين اثنتين التواني والعجلة

ورابعاً ان تقدره بقدره ايجاز ومساواة واطناً على حسب حال
المخاطبين واياك ان تنطق بلا تفكير او تفعل بلا تدبير وليكن لفظك حسناً
ومعناك بديعاً

وخامساً ان تغض من صوتك ونقل من حديثك ويكون كلامك
وسطاً فلا تحفضه حتى يخفى ولا ترفعه حتى يوهذي السامعين وسادساً ان
توزل الكلمات ترتيباً فلا يأخذك الاسراع ولا يقعد بك الابطاء فكلاماً
منبوذ وصاحبهما عن القلوب مصروف واياك ان تتحدث الانسان الا فيما
يعنيه وما يحسنه ويدريه فلا تتحدث الفلاحين في الحواشي ولا التلاميذ
في المواشي ولا الجند في فقه ابن دقيق العيد ولا الحداد في مقصورة ابن
دريد وكن مع الناس كما فطروا عليه . فله مع كل نفس من مصون وهو
يتحلى عليهم تجليات بعدد انفس المخلوقات . وهاك بيتين مما نظمت به ادب
الدنيا والدين

للقول داع له بدعوه وموضعه وروني اللفظ والتقدير للكلم
فان عرى اللفظ عنها كان مطرحاً وان حواها فقل هذا من الحكم
وسابها اذا مثل غيرك عما تعلم فلا تبادر بالجواب فتسي . محدثك او
علمت بعض قول محدثك فاصغ له كأنك لم تسمعه فاصغري ان تلك
الاداب تجلبه للمحبة وسبيل لنودات وان اكثر من محبتهم الناس كانوا منهم

ذوي الالباس والاسنناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الـهـل الطلق الوجه

وقال وهب بن منبه ان رجلاً من بني اسرائيل صام سبعين سنة يخطر في كل سنة ايام فسال الله تعالى ان يريه كيف يفرى الشيطان الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على قضيتي وذني بيبي و بين ربي لكان خير الى من هذا الامر الذي طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال ان الله ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به احب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فاذا جنود ابليس قد احاطت بالارض وان ليس احد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين

﴿ آداب الاكل والشرب ﴾

- (١) كل الخلال الطيب مكسبه وتذكر ما قدم الله من النهي عن اكل المال بالباطل وقدمه على قتل النفس يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية
 - (٢) وقدم غسل اليدين قبل الطعام
 - (٣) وضعه على السفرة او المائدة
 - (٤) ولا تجلس عليه متكئاً وانصد به ما جعل له من بقاء البدن وتقويته واخذر الاجتهاد في التمتع وكثرة الالوان
- وليكن بسم الله اوله والحمد اخره وقل بسم الله عند لول لقمة وزد الرحمن عند الثانية والباسمة بثامها عند الثالثة واجهر بها لتذكر غيرك

وصغر الآفة وجود مضغها ولا تمد يدك لغيرها قبل ان تبتلعها ولا تعب
ما كولا وكل بما يليك

واذا شربت فخذ الاناء بييمينك وقل بسم الله واشرب مصا وانت
جالس ولا تتجشأ ولا تتنفس فيه واختم بالحمد وقل بعد الشرب ما قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم . الحمد لله الذي جعله عذبا فرانا برحمته ولم
يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا . وكل ما بدار على القوم فليكن ينة واذا شربت
سفي ثلاثة انفاس فقل الحمد لله بعد الاول وزد رب العالمين بعد الثاني
والرحمن الرحيم بعد الثالث واذا اكلت عند غيرك فقل . اللهم اكثر خيرك
وبارك له في رزقه ويسر له ان يفعل فيه خيرا وقنعه بما اعطيته واجعلنا
واياه من الشاكرين . ولا تبدي . ومعك من يستحق التقديم ولا يسكت
القوم على الطعام وابتكأوا باجل الكلاء وليقصد كل امرى . الا يثار ولا
تخاف على الاكلين ولا تفرح رفيقك ان يقول لك كل واكرم ضيفك واطل
معه الجلوس ويسر ولا تعسر ولا تنكاف والاجتماع على الطعام من مكارم
الاخلاق وراع الزمان والمكان والعادة وتفكر واعمل هداك الله للعمل الصالح

❦ ما ينبغي الافتصار عليه من المطعم والمشرب ومضار الترف ❦
تعلمون ايها الطلاب الادكياء ان النعم الخارجة عن ذواتنا ليست
مقصودة لا عيانها ولا مطلوبة لذواتها . ان ما عند الناس من صناعة وما
اوتوا من تجارة وما اتبع لهم من سلطان وجاء ونعمة فان ذلك مقدمات
للسعادة كشرع السفينة المجري لها في البحار والانهار . ابتغ ما تشاء من
غنى وشرف وسلطان وجاء اقبض يديك على ما تشاء من مفاتيح الخزان

كن كما شاء الله في الدنيا . تعلم العلوم وافرأ الحكمة . ادرس نظام العالم
كن قاجرا . كن قاضيا . كن مدرسا . كن ذا مال وشرف . ليس في هذا
شيء مما يضاد الفضيلة . الا انما يزيد النفس في الرذيلة ويركدها في الجهالة
الشرة على الطعام والشراب وتغانيها في الزينة . انت الشرة في الطعام
او الاستكثار من الالوان وحصر الحم في الزينة والنباهي والتفاخر بعرض
لدنيا شان الجاهلين وهمة الغافلين الا وان التغالي في الزينة كما يفعل
المصريون واخضاع المال في الشهوات والتبذير في المآثم والافراح
ضعف الجسد وموت العدد وفقد المدد ورق الولد وضباع البلد
وذل الابد

لتحفظ الاموال في البلاد حق لا يذهب عزها ليحفظ الناس اجسامهم
من الشهوات وعقولهم من الضلالات والجهالات
وليعلم الطالب ان الطعام والشراب يشارك الانسان فيهما اخس
الدواب واضعف الحشرات واحقر الصعو (الميكروبات) وليس ما تعاطى
من الاطعمة باحلى مذاقا مما تزدره النملة في بيتها والعنكبوت في نسجها
والحية في جحرها

الا وان الله عز وجل خالق لنا طبييين حافظين وجنديين قادرين
اطعنا امرها وسمنا نصحبهما احدهما يتطلب الطعام بالترغيب والترهيب
والاخر يبعدنا عنه بالتأنيب والتاديب فاما الاول فهو المسمى بالجوع فانه
يُنذِرنا بالآلام المعديّة ويرغبنا بالوان الطعام وحلاوة المذاق فهو الذي
تولى احضار الطعام باللين والشدة والقوة والعلم فاما الاخر فهو المسمى
بالشبع يفيضنا في الطعام بعد الامتلاء وينذِرنا ان تمادينا بالداء كأن الله

عز وجل يقول انما قيمة الطعام نتيجته وفضيلته في تغذية الجسم وتقوية
الاعضات فاما ما عدا ذلك من الزخرف والاكثار وامثالها فانما هي شغل
فاحص وعذاب مهين ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين

مطلب واذا كان المال مطلوباً لقوام الجسم ووقايته ودوائه وشفائه
فاباك ان تنهك قواك في طالابه والا كان الانتكاس على الراس ولتكن
وسطاً في امورك والاكثر فقرك واصبحت النفس نارا لتأطى تقول لك
هل من مزيد النفس لا يقنعها شيء ولا حد لطلبها لا نهاية لتهوها ولذلك
كان اشقى الناس الملوك قال ابن مسكويه (وقد حكمت ان الملوك اشقى
الناس فقرا لكثرة حاجتهم الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر الصديق
رضي الله عنه في خطبته حيث قال اشقى الناس في الدنيا والاخرة الملوك
ثم وصفهم فقال ان الملك اذا ملك هذه الله فيما في يده ورغبه فيما في
يده غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل
ويتبرم بالكثير ويسام الرخاء وان التقصت عنه اللذة لا يستعمل العبرة
ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرم الغش والسراب الخادع جلد الظاهر
حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضى ظله حاسبه فاشد
حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم المرحومون ثم قال « ولقد سمعت اعظم
من شاهدت من الملوك يستعبدونها ثم يستعبدون لمواقته وصدقه عن حاله
وصورته » ثم قال ما ملخصه « لقد غلط من يرى الملوك والجنائب بين
ايديهم نقاد وامامهم الحشم والخدم والاتباع والعبيد اذ يظن انهم معداء
كلا فالناس بجمال مواكبيهم فرحون وهم في الهمة والغم مغبورون وفي عذاب
الحياة مشغولون صم عن الصبوت عمي عن الزينة فهم لا يفرحون » وانا

اقول لا يحملك هذا على ترك الاموال فالفقير محدود الاعمال والجاهل
اعمى لا يرى السبيل فاملاً الخزانة مالا والقلب فضيلة وثقرب الى الله
بما ملكك وما اناك من قوة ومال وعلم فاعلم ذلك ومرن الصبيان عليه من
مبدأ حياتهم ليمتادوه ثم اذا كبروا عقلوه فانما علم ذلك وعمله تمام
السعادة



« وقعت بعض غلطات تشير الى بعضها والبعض لا يخفى على الفارسي »

صفحة سطر خطأ	صواب	١٦٣	١٣	بحكم	فكم
١٧ ١٦	والعقل	١٨٦	١٣	نفس	نقش
٤٣ ٠٥	عقاصفها	١٨٦	٠٤	كالقطن	كالقطن حاجي
٤٦ ٠٨	اليد	١٩١	١٥	مواقع	مرانم
٦٠ ٠٩	عيرم	١٩٣	١٤	عملة شجرة	شجرة عمله
٦٤ ٠٣	نكدتضي	١٩٦	٠٢	بما	انما
٦٦ ٠٨	الضم	١٩٧	٠٢	معدنها	معرتها
٦٨ ١٤	وجوده	٢٠٠	١٦	فرطاجة	فرطاجنه
٨٥ ١١	الخلقاء	٢٠٠	٢٠	المذر	القدر
١١٣ ١٠	الحياة	٢٠١	١١	دما	وماء
١٤٩ ١٢	بدنيا غيره	٢٠٢	٠٨	ليتسع	بشسع
١٥١ ٠١	لتضحج	٢٠٦	٠٤	وصفت	صنعت
١٥٩ ١٣	عازر	٢٠٦	١٦	فعل	غفل
١٦٠ ٠١	الغنى	٢١٠	١٣	وصنعها	وضعها

فهرست الكتاب *

صورة المؤلف . ص ٥ مقدمة لفاهر الكتاب . ص ٩ خطبة
الامتاز الافتاحية

« القسم الاول » ١٧ - معنى الخلق - ٢٠ البيئة - ٢١ الدين
٢٥ العادة - عنابة القرآن الخ - ٣٤ الطرق الاربعة الخ ٣٩ اخلاق
الذي الخ

« القسم الثاني » ٤٦ البرية الجسدية ٥٢ - قوى الانسان الثلاث
٥٥ - منشأ الاخلاق ٦٤ - نتائج القوى الثلاث الخ ٦٥ نظام عجيب
٦٩ تطبيق على القوة الشهوية - ٧٦ فضائل القوة الغضبية ٧٩ تمثيل
القوة الشهوية الخ ٨٥ - مت نصائح - ٨٧ القوة الفكرية الخ - ٩٤
تفصيل المضائل الخ - ١٠١ ذم الافراط - ١٠٥ المدالة - ١١١ فصل
الحب - ١١٣ الفضيلة والرديلة - ١١٦ القدوة الحسنة - ١٥٧ علاج
الراذيل - ١٢٢ العجب - ١٢٥ الكبر - ١٢٩ الحسد - ٣٤ الثبات
والمزينة ١٣٥ - الصبر ١٤٠ الشجاعة ١٠٧ الكرم والبخل

« القسم الثالث » ١٧١ النظام - ١٨١ فصل الخلق الخ - ٢٨٤
حاجة الناس الخ ١٨٦ الظلم - السق - ١٩١ الغيبة والتمحية ١٩٢
الصدق والكذب - ١٩٨ الوفاء بالوعد ٢٠٢ - وفاء سيدنا عمر الخ ٢٠٥
محبة الوالدين ٢٠٨ الاصدقاء ٢٠٩ حب الوطن ٢١٥ - ادب الانسان
الخ ٢١٧ ادب الاجتماع - ٢١٨ ادب الزيارة - ٢١٩ ادب السفر
٢٢٠ ادب الطريق - ٢٢١ ادب الزيارة - ٢١٩ ادب السفر ٢٢٠
ادب الطريق ٢٢١ ادب المحادثة ٢٢٢ ادب الاكل ما ينبغي الاقتدار عليه